المشرق

السنة التاسعة والخمسون — ايار - حزيران ١٩٦٥

الالحان والتراتيل الارامية والعربية

في كنائس البلاد العربية الشرقية

بقلم يوسف يعقوب مسكوني

لقد فرضت الأديان السماوية في مشارق الأرض ومغاربها التسابيح والتراتيل لله عز شأنه وجلت قدرته منذ نشأتها حتى يومنا هذا . وقد اقيمت وما زالت تقام هذه التراتيل والتسابيح طوال القرون وتعاقب الأجيال منذ أول دين سماوي حتى تعاقب الأديان السماوية الأخرى . فقد بدأت منذ عهد النبي موسى (ع) ثم أخذها عنه الأنبياء الذين خلفوه . فجاء داود النبي (ع) بمزاميره التي ملأت أول كتاب مقدس وجاء بعده ابنه سليمان فجاء بنشيد الانشاد . وهكذا تعاقبت الأجيال في تأدية التسابيح والتراتيل للعزة الإلهية تكريماً لقدرتها وتقديساً لجبروتها في المعابد والهياكل المقامة للرب خالق الكون وإلة البشرية . ثم جاءت المسيحية بعد عشرين قرناً فزادت في هذه التسابيح وأكثرت من هذه التراتيل والأماديح بعد ان شقت

طريقها الى عالم الوجود وكافحت طغيان الوثنية الغاشم الذي فتك فيها فتكاً ذريعاً دونه التاريخ بمداد من دم فصمدت صموداً جباراً وضحّت كثيراً اذ قدمت ملايين الضحايا حتى رسخت قدمها وأنقذت الانسانية من براثن الكفر والضلال . فشيدت كنائسها علناً بعد ان كانت مخفيّة تحت الأرض خوف الفتك والبطش وأقامت طقوسها الدينية فيها . فصارت تتلو صلواتها وتسابيحها وتراتيلها بألحان شجيّة علناً .
وكان ذلك بعد القرن الأول للميلاد حيث ظهر في ذلك العهد خليفة من خلفاء بطرس الرسول في انطاكية ، وهو اقرب الرسل الى السيد المسيح (ع) اغناطيوس النوراني الذي رأى رؤية في نومه ان العزة الإلهية قد تجلّت امامه كمشكاة من نور تحيط به الملائكة من الجانبين وهي تسبّح وتمجّد جلاله على شكل جوقين من الألحان والتسابيح كل منهما يتلو النغم واللحن بدوره فاستيقظ مذعوراً مما رأى في حلمه فأنشأ الألحان والتسابيح في الكنائس لتمجيد الله وتسبيحه على شكل جوقين في القول الملحّن والرد المنغّم . وهكذا نشأت فكرة الألحان في تأدية الطقوس واداء فروض الصلاة في الأوقات المفروضة على المؤمنين المسيحيين وخاصة في أيام الآحاد والأعياد . ثم تطوّرت هذه الأنغام والألحان على مر السنين وظهر من خدمها وهذّبها وأنشأ الألحان الخاصة المعروفة باسمه مما سيجيء ذكره ويرد تفصيله على توالي العصور والأجيال حتى عهدنا هذا .

ان من المؤسف جداً ان نذكر بأن هذه الألحان الدنيوية الدينية أي الأغاني السريانية والكلدانية قد فقد معظمها لعدم وجود (نوطة) في ذلك الزمن العريق في القدم لحفظها كما هي الحال في الموسيقى العربية وغيرها . وقد ظلت هكذا يتوارثها الأبناء عن الآباء حيث ضاع منها الكثير حتى قيام أحد الرهبان البندكتيين وهو الأب جانان في اوائل هذا القرن بجمع الألحان التي استطاع العثور عليها في بلاد الشرق العربي فوضعها في (نوطة) موسيقية في كتاب ضخم طبع بعد الحرب العظمى الأولى باللغة الفرنسية سماه (كتاب الألحان الطقسية السريانية والكلدانية) واسمه بالفرنسية :

Mélodies Liturgiques syriennes et chaldéennes, par Dom Jannan, o.s.b.

طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت . جمع مسوداته قبل سنة ١٩١٤ ثم طبع حوالي سنة ١٩٢٠ وقد وضع له مقدمة فخمة عن هذه الالحان وتطورها وهذه مقتطفات منها قال : ان الالحان الكنسية التي تستعملها الكنائس الشرقية السريانية والكلدانية خاصة موسوعة كبيرة من الالحان الكنسية وهذه الالحان لم تأت فجأة انما نمت وترعرعت في محيطها . ولنا براهين على ذلك لتأكيد هذا الرأي . ففي

(البيث كازو) أي بيت الكنز أو دار الخزائن الذي يحتوي على جميع الالحان الكنسية المستعملة في يومنا هذا لحن مشهور أو نغم مشهور يسمى (القوقويو) أي القواق وهو الفخاري. ففي استدارة دولاب الفخار الف نغماً يناسب حركة دولاب فخاره فألف مدرسة وصار له تلاميذ يلحنون الحاناً دنيوية فانتهزت الكنيسة هذا اللحن الشهير وادخلته في صلواتها كي تؤثر على المؤمنين بطريقة عصرية فنية .

اين هي الالحان السريانية ؟

ان مؤلف الكتاب المذكور أعلاه الأب جانسان البندكتي بحث كثيراً عن الكتب التي تحتوي على الالحان السريانية وبالطبع فان هذه الالحان كائنة في كتاب نسميه (البيث كازو) الذي ذكرناه آنفاً غير ان هنالك تفاوتاً في قدم (البيث كازوات) الموجودة حالياً . فاستند المؤلف على (البيث كازو) الكائن في دير القديس مرقس في القدس الشريف الذي يرجع عهده الى القرن الثاني عشر الميلادي . و(البيث كازو) هذا آت من دير سيدة السريان في مصر كما هو مذكور على هامش الكتاب . وقد يتساءل القارئ أو المستمع كيف وصل هذا الكتاب القيم من مصر الى القدس فالمؤلف يجيب على هذا السؤال بأن دير القديس مرقس كان مركزاً هاماً للسريان في القدس وبما ان المسيحيين يحجون الى المدينة المقدسة فلا بد من ان يهدوه الى هذا الدير . ويستند المؤلف كذلك على (بيث كازو) آخر موجود في مكتبة دير الشرفة . ولقد لاحظ المؤلف ان بعض الالحان الكائنة فيه مفقودة فجاء الى نواحي الموصل وحصل على بعض الألحان التي كانت مفقودة (راجع ص٦ ، ٧ من مقدمة الكتاب المذكور) .

ولا يخفى على السامع أو القارئ ان المؤلف لم يحظ بأي نغم منوط في الكتب المذكورة فاستعان برجال الدين الشرقيين المتضلعين بالموسيقى الآرامية فأنشدوها أمامه مراراً وتكراراً كي ينوطها على الطريقة العصرية فأتى كتابه هذا خدمة للعلم اذ انه انقذ هذه الألحان من الضياع والفقدان .

اقسام الالحان السريانية

تقسم الألحان السريانية الى ثمانية ولقد وضعها البطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم في كتابه (اللؤلؤ المنثور) بان منها الحار والبارد والرطب واليابس . ومنها اللحن المطرب والمحزن والمذلل والمنبه والمنشط . واليكم اشهرها :

١ — الباعوث ومعناها التضرع والباعوث شعر موزون قديم صقل مع الزمن فبلغ مرتبة عالية من الدقة والرقة. وقد اجاد السريان في تلحين الباعوث . فبرغم ان لكل مقطوعة ثماني ألحان فللباعوث وحده ستة عشر لحناً يؤدونها بخفة ورشاقة

ويعبرون فيها عن العواطف المكنونة في الصلاة . والباعوث يستعمله السريان ايام الآحاد والأعياد وفي ايام الاسبوع الاعتيادية وأشهر المقطوعات تعود الى القديس يعقوب السروجي ومار افرام السرياني والقديس بالاي ولكل منهم وزن خاص به.

٢ ــ الأقوال الشهرية وتؤلف الأقوال المجموعة الثانية في الموسيقى السريانية الكنسية . ومعنى القال بالسريانية الصوت وهو يعني ايضاً شعراً شعبياً ازدهر في القرن الخامس الميلادي . وان الفخاري سمعان القواق وبالسريانية (قوقويو) اشتهر في هذا النوع من الشعر واللحن كما مر بنا في مقدمة الكلام . وان شهرته الواسعة بلغت الشاعر الكبير يعقوب السروجي المسمى (قيثارة الروح القدس) فقام وقصد الشاعر العامل الفخاري واقتبس من نظمه مما رفع من شأن الفخاري سمعان هذا وهكذا نشأ نظم ولحن كنسي عرف بـاسم الفخارين (القوقويو) ونشأ بجانب هذا القول اقوال اخرى كثيرة تستعمل على مدار السنة ولكل منها ثمانية ألحان وأنغام ويربي عددها على الخمسين .

٣ ــ المداريش ويرقى المدراش الى عصر السريان الذهبي والقديس افرام هو الذي ألبس المدراشن حلة بهية ومنحه شعبية منقطعة النظير .وقد سبقه الى المدراش برديصان وتلامذته لنشر تعليمهم المغلوط فانبرى مـار افرام لتعليمهم وحاربهم بسلاحهم المدراش الذي بلغ أوج الشهرة نظماً ولحناً والمدراش هو المجموعة الآرامية الأولى التي خلفت المجموعة اليونانية السريانية التي تؤلف اليوم نشأة كتاب الصلاة الفرضية السريانية وأضاف على هذه المداريش يعقوب السروجي واسحاق الانطاكي.

٤ ــ المعانيث وهي ذات صبغة مزمورية ومعناها الأجوبة . والمعانيث ليست منظومة الوزن وهي أقرب الى النثر منها الى النظم عـلى شكل مقطوعات صغيرة يتخللها (ردة) في الوسط .

٥ ــ التخشفتات ومعناها الصلاة أو التضرع الى الله . ان استعمال التخشفت قليل في الطقس برغم ان لحنها متطور تطوراً كبيراً وأكثرها مأخوذ من مؤلفات (رابولا) الرهاوي المتوفى عام ٤٣٥ م . والقسم الآخر على ما يبدو انه مأخوذ من تآليف مار افرام . ولقد كان لهذا اللحن نجاح عظيم في حينه ولا يعرف السريان في ايامنا هذه سوى أربعين لحناً منها مع انها كانت تربي عـلى الخمسمائة لحن . وهنالك ألحان أخرى آرامية سريانية تستعملها في المناسبات الكنسية . ويبقى كثير من المقطوعات مجهولة اللحن برغم وجود كلماتها وهذا هو الحال في الموسيقى العربية اختها اذ لم يكن لدى السريان (نوطة) لحفظ الألحـان كما هو اليوم . (راجع ص٨ــ٢٧ من كتاب الألحان الطقسية السريانية والكلدانية للأب جانان البندكتي)

وجاء في كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للمثلث الرحمة اغناطيوس افرام الأول برصوم ما نصه بعنوان :

في الموسيقى الكنسية

رضي أئمة الدين ادخال اللحون الى بيعة الله لأسباب ثلاثة أولها : مناهضة ألحان الوثنيين وأصحاب البدع التي حاولوا بها افساد قلوب الناشئة عقيدةً وآداباً فعارضوها باشعار جزلة دينية قضت على الاشعار الفاسدة . وثانيها : الاستعانة بها على النشاط في عبادة الله ودفع الملل عن المصلين اثناء تلاوة الفرض المطول . وثالثها : تنبيه الحواس الى ادراك معاني الصلاة لأن المصلين اذا ما ترنموا أو سمعوا الترتيل استوعبوا معاني ما يرتلون . وكان ذلك اسرع الى اذهانهم وأرفع في نفوسهم وأعمق وادعى الى الخشوع . وكان للأئمة في هـذه الطريقة اسوة بداود النبي صاحب المزامير وجوقته المرتبة فجروا في ميدانه وعلى نهجه صنعوا ألحاناً لها نغم حسنة مؤلفة بعضها الى بعض على نسب متعارفة وذلك بعد المجمع النيقاوي . وأول من شدا بها عند السريان القديس افرام وعنـد اليونان القديسون غريغوريوس النزينزي فقورلس الاورشليمي فاياونيس الذهبي الفم وتابعهم السريان مار اسحاق ومار رابولا ومار بالاي وجماعة الفخارين فالقديسون يعقوب السروجي وسويروس الانطاكي اليوناني ويعقوب الرهاوي وناظمو التراتيل المسماة بالقوانين عند اليونانيين ونَقَلَتُها وغيرهم من احتذى مثالهم على تراخي الأيام . فصاغوا الألحان وأحكموا صنعتها وتفننوا فيها فوقعت خير موقع وبلغت من المصلين كل مبلغ لأن جـل فروضنا السريانية منظومة شعراً . قال العلامة انطوان التبريتي : ان الذي دعا مار افرام الى نظم الأغاني الروحية والمدائح (جمع ميمر) هو ان برديصان كان قد نظم أغاني وقّعها على لحون لذيذة ضمّنها اقوالاً تفسد المعتقد القويم والأخلاق فعلقت بأذهان الشبان السذج فجاء مار افرام بالأغاني النقية القدسية فتغلبت عليها ومن هنا نشأ الترتيل الكنسي المقدس . وكان القديس غريغوريوس اللاهوتي ايضاً قد نظم اشعاره نقضاً لضلال الآريوسيين ودحضاً لما قام به القيصر يوليانس الجاحد . وقال ابن الصليبي : ونظم مار سويريوس المعانيث رداً عـلى الشعراء وأغاني سوسطيوس اليوناني . والف مار اياونس (السطيخارات) نقضاً لأغاني الآريوسيين التي كانوا يصطادون بها الأغرار وعلى هذه الصورة دخلت القوانين والبواقي الى البيعة . ثم يقول صاحب اللؤلؤ المنثور : واتخذ السريان واليونان الألحان ثمانية من الأول الى الثامن وسموها « اكاديا » ثم يذكر صفاتها الحار والبارد كما مرّ بنا سابقاً ثم قال ويتناوبون منها في كل اسبوع نغمتين متقابلتين فـالأول يقابل الخامس

وهكذا جعلوا لكل عيد وموسم مشهور لحناً خاصاً به ينطبق عليه كل الانطباق .
وقال القس يعقوب المارديني في كتاب دعوة القسوس في الألحان الثمانية (الأول والخامس للأفراح والثالث والسابع للأحزان والرابع والثامن لجهاد الشهداء والثاني والسادس المذلل) هذا ما ورد في الباب التاسع والأربعين (ص ٢١٦) من كتاب مجموع اصول الدين للشيخ الرئيس مؤتمن الدولة ابي اسحق ابن الفضل بن العسال القبطي . اما كتاب دعوة القسوس فمفقود الا اربع قصائد في الخمرة الإلهية وجدت في بيروت . قال صاحب اللؤلؤ المنثور : وأما مؤلفه فأحسبه من كتاب القرن الثاني عشر . وتخيّروا لها الأصوات الطيبة الرخيمة وجعلوها بين صفين يتناوبان ترتيلها ويتراجعان . وأقاموا للصف رأساً يراعي نظامهـا من أحذق الكهنة او الشمامسة وأمهرهم في الألحان وحسن الايقاع والمساوقة من نتائج تناسب الأصوات فبلغوا فيها من الأحكام الغاية .

واشتهر من رؤساء الصفوف في حدود سنة ١٢١٨م الربـان ابو الفرج ابن البشاع كان حاضر الذهن كثير الحفظ يحفظ عن ظهر قلبه فنقيث الفروض على ما ذكر ابن العبري في تاريخه الكنسي (ج١ = ص٦٣٧) .

وأبدع ألحاننا وأحسنها صوغاً وأحكمها صنعة التخشفتات والقاشمات والمعبرانات والمداريش وهي من صدور الأناشيد وأوائلها ولأكثرها مدات وليـات وعطفات ونبرات وما اليها وظا شحا ورقة وذهب للسريانيين بها صيت وذكر وخصوصاً أهل ديار بكر وأثرها وهم يأخذونها بطريقة التقليد . ولما لم يقيدوها بعلامات وضوابط ذهب الدهر بقسم صالح منها . غير انه ابقى بقية كافية (انظر كتاب معرفـة الفصاحة لأنطون التكريتي . المقصد الأول من المقالة الخامسة (ص ٧٦ — ٧٩) والفصل الرابع من الفصول العشرة لابن الصليبي رداً على الشماس يشوع (ص٧٤—٧٥) وكتاب الكنوز ليعقوب البرطلي الفصل (٣٨) من المقالة الثامنـة وكتاب الايثيقون — أي حسن الأخلاق والآداب — لابن العبري ص ٦٥—٧٢) .

وهنالك كتاب الفرض الاسبوعي وفيه الفرض اليومي عـلى مدار الاسبوع ويعرف بالاشحيم أعني البسيط وهو كتاب وسط مؤلف من صلوات وأناشيد في عدة ابواب اشتملت عـلى التسبيح والتوبة وذكر العذراء والرسل والآباء والأنبياء والشهداء والموتى . وكلها موزونة . وقد جمع هذا الكتاب على الأرجح في اواخر المائة السابعة للميلاد بعناية مار يعقوب الرهاوي على ما ورد في نسخة محفوظة في خزانة باريس كتبت في القرن الخامس عشر الميلادي . وهنالك قراءات الكتاب المقدس وقد عينوا منها قراءات فصول يتلونها على مدار السنة بأنغام خاصة منها ما يخص ايام الأفراح ومنها ما يخص ايام الأحزان ولكل منها نوع من الصوت الموسيقي

المفرح والمحزن بالنسبة لما يناسب المقام. وهنالك الليتورجية والنافورا وأصلها آنافورا وهما لفظتان يونانيتان يراد بهما صلوات القداس الإلهي وخدمته . وقد عم استعمال الثانية عند السريان فأفاضوا في تصنيعها الى حد الاغراق فأكثروا عددها حتى بلغ عددها زهاء الثمانين بين مطولة ووسطى وصغيرة . وينسب قسم منها الى بعض الرسل والقديسين وأئمة النصرانية الأقدمين والبحث فيها يطول اذا اردنا تعداد كل منها والى من تنسب وانما يراجع في ذلك كتاب (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية لاغناطيوس افرام الأول برصوم المبحث الرابع ص ٧٩–٨٧) وهنالك فناقيث الآحاد على مدار السنة وهي جمع فنقيث ومعناهـا صلاة الفرض وهي عديدة يطول شرحها وتفاصيلها وهي من جمع وترتيب مار يعقوب الرهـاوي المتوفي سنة ٧٠٨م كما اسلفنا وقد سردها باسهاب كتاب اللؤلؤ المنثور في البحث الخامس ص ٨٨–٩٢ . وخـلاصة القول ان الطقس الشرقي المتبع في الكنائس الشرقية العربية والذي تجهل مؤلفه بصورة قاطعة بدئ بجمعه في صدر المائة السابعة حتى اواسط المائة الثانية عشرة الميلادية واشترك كثيرون بتأليفه الى ان بلغ الشكل الذي هو عليه اليوم.وقد أبقت لنا الايام نسخاً شتى من مجلدات الفروض وأكثرها على رقوق وبعضها على كاغد مكتوبة بالقلم الاسطرنجيلي النفيس من القرن التاسع الى الثالث عشر الميلادي وهي محفوظة في لندن وبـاريس وبوسطن وكنائس ديار بكر وطور عبدين ودير الزعفران ومار مرقس والرها والموصل وغيرها وغيرها . ولا نعلم ما اضاعت الحرب الاولى والثانية منها وما بقي . وقال صاحب اللؤلؤ المنثور في صدد (البيث كازو) ان السريان جمعوا اناشيدهم وتسابيحهم البيعية في كتاب ضخم اطلقوا عليـه اسم (بيث كاز) اي مخزن الألحان وهو يحتوي على اربع وعشرين مادة ونوع وهذه هي اذكرها برمتها اتماماً للفائدة :

١ – صلوات الفرض الاسبوعي المعروفة بالاشحيم .

٢ – مجاميع المقالات التي تسمى السهرية لانشادها في عنفوان امرها في اثناء السهرات أو من قبل جماعة يعرفون بالساهرين (شوهري) وكان دأبهم العنايـة بترتيب مواقيت الصلاة ورتبتهم من الرتب الصغرى بعد المرتلين وهم ينقادون الى امر رئيس الشمامسة (الاركذياقون) .

٣ – المداريش : اي الاناشيد الافرامية وكان عددها خمسمائة ضاع معظمها وبقي منها مائة وسبعة .

٤ – التخشفتات : اي الابتهالات وهي ثلاثمائة وقد وجد منها مائتان وخمسة واربعون والمشهور ان ناظمهـا هو مار رابولا مطران الرها المتوفى سنة ٤٣٥م وان اختلفوا في مؤلفيها .

٦ — الغنيزات : وعدّها بعضهم اثنين وسبعين وغيرهم ثلاثـة وثمانين ومائة وتسعة عشر .

٧ — المعبرانات : اي المراجل لتشييع الموتى وعددها مائة وسبعة ولابن قيقي واحد منها كما جاء في (البث كاز) في كنيسة مار جرجس بدمشق تاريخه سنة ١٥٦٤ م .

٨ — الشوباحات : وأعني التسابيح وترتل في اثناء تناول الاسرار المقدسة .

٩ — السطيخونات : وتستعمل خاصة في طقس الميرون ورسامة الاحبار وهي من تصنيف مار فولس الاورشليمي المتوفي سنة ٣٨٩م .

١٠ — الاستيخارات : وهي من وضع مار اياوينس الذهبي الفم .

١١ — الاعقاب او الفردات وهي واحد وثمانون ولهـا ردة احياناً تسمى (كوراخا) ترتل في بدء صلاة المساء وفي قومات الليل .

١٢ — ترانيم الطواف على مدار السنة : وردت في (بيث كاز) شرقي فقط محفوظ في خزانة برفكهام (عدد ٣٢١) .

١٣ — السوغيثات : وهي على البحر السباعي .

١٤ — الزومارات : وعددها سبعمائة وثمانية وعشرون ويلحق بهـا فنغامات التهاليل وهي قطع ملتقطة من المزامير وهذه كلها مجهولة المؤلف .

١٥ — العنيانات وعددها سبعة وثلاثون وكثير منها لمار افرام وقد وردت في النسخة المحفوظة في بطريركية السريان الارثوذكس بدمشق وعددها خمسة وخمسون.

١٦ — القاتسمات : اعني المجالس وعددها مائة وسبعون وخصصوها بالآحاد والمواسم على الغالب وقيل انها نقلت من اليونانية وقد جاء في (بيث كاز) في قرية باتي بطور عبدين انها مما دبجته يراعة مار افرام .

١٧ — المعانيث : وتنيف على ثلاثمائة وسبعين منها مائتان وتسعون صاغها مار سويسريوس الانطاكي والبواقي نسجها يوحنا بن افتونيا ويوحنا بسالطس وغيرهما واشتملت كتب الالحان على طائفة منها . ولبرصوم المعدني مفريان المشرق المتوفي سنة ١٤٥٤م معنيث في الخاطئة .

١٨ — القوانين اليونانية : وهي على ثمانية ألحـان مما حبره يعقوب الرهاوي واندراوس التكريتي وقزما ويوحنا الدمشقي وبعضها من نسج شعراء آراميين ولهـا تقليدان رهاوي وملطي وعددها ٤٣ قانوناً وأبياتها ٧٥٠ .

١٩ — البواعيث : وهي مختارات القصائد التي حبرها مار افرام ومار اسحق ومار بالاي ومار يعقوب الملفان ويلحق بها التبرات .

٢٠ — الكوروزوثات : مما نظمه بالصنعة بعض المتأخرين سيما داود الحمصي

ومسعود الزازي لينشد امام الأحبار قبل تلاوة الانجيل لكنها اهملت بعدئذ .

٢١ — طقوس الأيام الحافلة .

٢٢ — الشملايات الشرقية : وهي ادعية وتضرعات للعزة الإلهية .

٢٣ — ادعية شتى .

٢٤ — الكلندارات والخرونيقون : وهي التقاويم الخاصة بالأعياد التي لا تتغير ايامها على مدار السنة . ومن اقدم نسخ كتب الألحان وأنفسها وأوسعها نسخة في خزانة دير الشرفة عدد ١/٥ جمعت فادعت ونسخة ضخمة نادرة كانت في دير مار ابراهيم بمذيات وقد فقدت في الحرب العظمى الاولى. وفي الخزانة البطريركية للسريان الارثوذكس بدمشق نسخة جامعة للمداريش وغيرها .

(راجع اللؤلؤ المنثور المبحث الثالث عشر بعنوان : في كتب الألحان البيعية ص ١١٤ — ١١٨) .

الألحان الموسيقية في الطقس الكلداني

أما ألحان الطقس الكلداني فقد جاء في المحاضرة التي القاها الدكتور في العلوم الشرقية الأب قرياقوس موسيس في المؤتمر الموسيقي العالمي المنعقد في رومة بمناسبة السنة المقدسة سنة ١٩٥٠ من ٢٥ ايار حتى ٣١ منه وكانت آخر جلسة في المعهد الموسيقي الحبري والتي كان عنوانها الموسيقى الطقسية الكلدانية :The Chaldean Musical Liturgies ان للكلدان ستة وعشرين قالا ولهذه القالات ستة ألحان فقط وللكلدان كذلك المداريش والمعانيث كما لهم ما ذكرناه في الطقس السرياني سوى هذا الاختلاف بعدد القال وعـــدد الألحان الا ان الألحان تختلف بالطبع في الصوت والنغم . وقد انتقل اللحن الكلداني بطريقة شفهية كاللحن السرياني مما ادى الى قيام ألحان متعددة بحسب المناطق والبيئة . ان اللحن الكلداني ذو طابع بسيط اي انه خال من مصادر عربية لبعد الكلدان عن ثقافــة العرب بحسب رأي الموسيقار باريزو الفرنسي .

وقد بقي اللحن الكلداني كما كان في اقدم العصور دون تطور . ولنا ان نقول ان المسيحية بعد مـــا دخلت في البلاد العربية حصل تطور كبير في الطقوس الكنسية وبالأخص الطقس السرياني حيث كان معظم العرب وخاصة الغساسنة وجزء كبير من المناذرة على الطقس السرياني فاستبدلت اكثر التعابير السريانية بالعربية لقربها منها عندما اخذت اللغة السريانية بالتضاؤل ولم تبق لغة التكلم مع الزمن فحلّت محلّها اللغة العربية وبقيت السريانية سجلاً للصلوات الدينية فقط كما هي الحال اليوم . وعلى هذا فان اكثر التراتيل والتسابيح تتلى بالعربية اليوم

بألحانها المألوفة وبالمقامات الشرقية المعروفة التي منها الرست والصبا والنوى والسيكاه والاوج والمنصوري والنهاوند والدشت والديوان والعريبوني وغيرها ومنها المفرح والمحزن والمطرب والمذلل وغير ذلك بحسب المناسبة والفروض الطقسية . وقد أحسن المجمع المسكوني صنعاً بقراره هذه السنة بالسماح بتأدية الواجبات والفروض الدينيـة للطوائف المسيحية الكاثوليكية في العالم كل طائفة بلغتها الخاصة وعلى هذا فقد تصبح هذه الفروض في يوم من الأيام عربية صرفة في جميع كنائس البلاد العربية مع الاحتفاظ بلغاتها الدينية القديمة في مناسبات خـاصة حرصاً على نسيانها واندثارها. اما الآلات الموسيقية المستعملة في الكنائس الآن فهي : الارغن والصنج والأجراس والنواقيس والكمنجة في بعض الحالات الخاصة والبيانو في الاحتفالات والأعياد الكبيرة حيث يقوم الشمامسة مع القس بهذه التراتيل والألحان وهم نخبة متتخبة من ذوي الأصوات العذبة والأنغام الشجية . ونكتفي بهذا القدر وان كان هذا الموضوع يتسع لمجلد ضخم في تتبع تاريخ هذه الألحـان التي تقام تكريماً وارضاءً لله تعالى ذي الجلال والاكرام .

قلعة الشقيف معقل فخر الدين

بقلم المحامي ميشال شبلي (†)

١ – قبل عهد الامير

قلعة الشقيف في لبنان الجنوبي هي الحصن القديم في التاريخ ، المشيد على الطريق الممتدة بين النبطية ومرجعيون في موقع طبيعي فريد بمناعته ، يشرف من علو شاهق على وادي الليطاني ويصعب البلوغ اليه الا من جهة واحدة ، وبذلك كان يسهل الدفاع عنه .

وزاد في خطورة الحصن موقعه الجغرافي وهو المسيطر على طريق ساحل صيدا ووادي التيم من جهة ، كما انه مع قلعة الصبيبة في بانياس يملك مراقبة السبل الى فلسطين الداخلية .

وكلمة « الشقيف » سريانية معناها الصخر الكبير ، والقلعة مبنية على جبل صخري مستطيل . وقد عرفت المقاطعة باسم القلعة : بلاد الشقيف .

ويبدو ان الأقدمين ، قبل العهد الروماني ، حصنوا الموقع . وجاء الصليبيون فزادوا في شأنه بان بنوا القلعة التي لم تزل آثارها بادية للعيان ودعوها باسم « شقيف ارنون » او قلعة « بوفور » وهي اسماء فرنسية[1] .

ويروى عن تاريخ هذه القلعة ان السلطان صلاح الدين ضربها بالمنجنيق من قرية القليعة القائمة تجاهها .

وذكر الكتبي في « فوات الوفيات » عن سنة ١٢٤٤ « ان القاضي عبدالعزيز الفقيه جار في قضائه وحمل الى شقيف ارنون ورُمي به من حالق فتحطم في نزوله .

١) وهناك قلعة نيحا في الشوف تدعى ايضاً باسم الشقيف ولكن « شقيف تيرون » .

وكأنه تعلق في بعض جوانبها بثيابه فبقي انينه يستمع نحوًا من ثلاثة ايام حتى مات ».

وفي غزوة تيمورلنك سنة ١٤٠٠ اعتصم كثير من الناس بتلك القلعة[٢] .

٢ – في عهد الامير

ما كاد فخر الدين الثاني امير لبنان يتسنم ذروة الحكم في مقتبل العمر حتى اتخذ له سياسةً ذات مرام واسعة لتوطيد استقلاله . فكان عليه مناوأة السلطنة العثمانية وخضد شوكتها . وسنحت الفرصة الاولى بالتحالف مع حاكم ايالة حلب علي باشا جنبلاط ، الذي شق عصا الطاعة على الدولة تدفعه دولة « توسكانا » وتؤازره دولة العجم .

وبعدما حالف النصر حاكم حلب وامير لبنان في واقعة « عراد » ، قرب حماه ، ودخلا الشام كاسبين ، ناهبين ، نكلت الدولة بالجنبلاطي في سنة ١٦٠٧ وعاد فخر الدين الى جباله غير متقاعد عن اعداد العدة لطوارق الحدثان . فانصرف منذ سنة ١٦١٠ ، كما روى ذلك الرحالة الانكليزي « سانديس » الى تحصين بلاده ، ولا سيما قلعتي الشقيف وبانياس ، كي يأمن جائحة الحملات العثمانية من تلك الطريق ، ويظهر تجاه دول اوربا الطامعة في الشرق ، وفي طليعتها اسبانيا وتوسكانا ، بمظهر القابض على منفذ فلسطين .

اما الدولة العثمانية فاوجست خيفة . ولم تلبث ان جردت على الامير ، حوالى سنة ١٦١٣ ، الجحافل وقد استقدمتها من مختلف الولايات النائية في الاناضول حتى بلغ عدد قادتها اربعة عشر من الباشاوات تحت امرة والي الشام احمد باشا حافظ .

ونزلت هذه الجيوش الجرارة على جسر الخردلة تحت قلعة الشقيف . وكان على حافظ باشا ان يختار بين خطتين ، فاما ان يزحف الى جبال الشوف فيدوخها ، واما ان يستولي على قلعة الشقيف المنيعة . فاشار عليه قواده بالاستيلاء على القلعة اولاً ، فضرب عليها الحصار .

---

٢) ذكر هذه الحوادث الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف .

٣ – محاصرة الحافظ باشا

روى لنا الخالدي حوادث ذلك الحصار بعبارته البسيطة ولكن مع الملاحظات والتفاصيل الوافية فقال :

« اما الامير فخر الدين فكان متداركاً احواله حيث وضع في كل واحدة من قلعة بانياس والشقيف من الرصاص والبارود والعازق ما يكفي العسكرين بها خمس سنين ، ووضع فيها برسم علوفات السكبانيةماية الف غرش ... وجعل على عسكر قلعة الشقيف حسين طويل بلوكباشي وبها من البلوكباشية على اربعماية نفر ماشي وكل من كان منهم متأهلاً ادخل اهله معه الى القلعة .

« ووضع الامير حريمه في القلعتين واوصى العسكرين بامور منها ما نقله عنه الجمهور انه اذا قدر الله عليه ووقع في ايدي الدولة وقال لكم كبيرهم سلموا لنا القلاع حتى نطلق لكم اميركم لا تصدقوا قوله واحفظوا قلاعكم وناموسكم ودعوهم يفعلون ما يريدون بعد ان تقيموا ناموسكم ولا تسلموا قلاعكم ».

...

وابحر الامير من صيدا قاصداً ايطاليا الجنوبية فظل خمس سنوات بضيافة دولتي توسكانا واسبانيا المسيطرة على نابولي وصقلية .

والباعث على سفره الاستنجاد بهاتين الدولتين وعقد المعاهدات وإياهما على ضمان استقلال لبنان .

ومعظم حامية القلعتين من الجنود المأجورين المعروفين باسم السكمان او السكبان[1] وهم اقوام يضعون انفسهم في خدمة الحاكم من يزيد لهم في المرتب والعازق . واخلص السكمان الخدمة للامير فخر الدين لكونه حزوماً عادلاً ، يجري عليهم المرتب عن سعة وفي الموعد . غير ان جرثومة الخيانة لم تستأصل منهم شأن كل مرتزق .

ونزل الحافظ بجنده في ارنون تحت القلعة يحاصرها . ولكن عسكر الامير اللبناني لم ينتظر مهاجمة عدوه ، بل عمد الى المبادهة . فخرج فريق منه يقاتل الجند العثماني « من اول النهار الى اخره . وفعلوا فعلاً تعجز عنه الجبابرة ؛ كما يقول الخالدي : وعادوا الى القلعة واغلقوا الباب ولم يبالوا بكثرة العسكر » .

وفي مقابل القلعة برج خارجي يعرف ببرج الظاهرية ، ولم يكن منيعاً .

١) ذكر الاستاذ المدقق لحد خاطر في احد ابحاثه ان الصليبيين انشأوا فرقة من الرماة الشرقية وكان اكثرها من الترك ودعوها تركوبول وسماها اهل البلاد بالسكبان . ويبدو ان هذه الكلمة هي فارسية معناها السماة في الصيد .

ولذلك دعا الامير فخر الدين قبل سفره الى هدم هذا الحصن . ولكن يبدو ان احد البلوكباشية ظلّ فيه معخمسين جندياً ولم يدخل القلعة معانداً . قال الخالدي :

« فحاصر حافظ باشا برج الظاهرية في رابع يوم من بكرة النهار الى العصر . وقتل من عسكره نحو ثلاثين رجلاً بالرصاص . ثم ان احد السكمانية اراد ان يملأ وزنته باروداً من البرميل وفي يده فتيلة مشعولة . فاحترق البارود وقتل جماعة من السكمانية ونحو سبعين رجلاً من المحاصرين لانهم كانوا وصلوا لحيط البرج . وانهدم غالب البرج وملكه العسكر . ونجا بعض السكمانية فاخذوهم الى الحافظ الذي اطلق سبيلهم تطميناً لقلوب من في القلعة .

« ثم شرع المحاصرون في عمل المتاريس وقطعوا شجر الزيتون ورموه عند برج الظاهرية ، والسردار حافظ باشا في بعض الاوقات واقف عليهم يأمرهم وينهاهم . واستعمل في السناجق واعيان العسكر حتى اوصلوا ستارة الحطب الى الخندق فطلع بالليل طايفة المحاصرين من القلعة واحرقوا متاريس الحطب . فامر حافظ باشا ان يغيروا الحطب ويجعلوا عوضه تراباً في مخالي الدواب فوضع كل واحد مخلاة الى ان وصلوا الى خندق القلعة .

« وكانت مدة الحصار ستين يوماً بلياليها ولا يبطل الضرب بالبندق والمدافع من الجانبين لا بالليل ولا بالنهار ولا سيا من القلعة واعاليها . فلله در من في القلعة فقد ثبتوا للحصار ثباتاً ما عليه مزيد لان العسكر الذي مع السردار يزيد عن خمسين الفاً غير اولاد العرب » .

٤ – ثبات القلعة

ثبتت القلعة هذا الثبات المدهش بما اظهرت حاميتها من بطولة وبما ابدت المدفعية من حذق . فكان يديرها بعض الفرنسيين في خدمة الامير يبلغ عددهم ثمانية عشر جندياً .

وروى المؤرخون ، ومنهم افراد البعثة التوسكانية التي ارتادت البلاد في تلك الآونة ، ان المدفعية كانت ترمي جند الحافظ بالنيران الاصطناعية فتلقي الرعب والذعر .

وعبثاً حاول الحافظ استمالة قائد القلعة . فأوهمه ان الأمير عدل نهائياً عن العودة الى بلاده . فاجابه القائد ، كما اعلن الرواة ، انه سيكون صاحب القلعة وما فيها من مال اذا لم يرجع الامير ، فلا تطمع فيها الدولة .

ولم تكن للجنود العثمانية مدفعية . ولكنهم عثروا في قلعة صيدا على مدفع كبير . فنصبوه امام القلعة ، وكان كبره خارجاً عن الفهم . ولكن لحسن الحظ

في حـــال وصوله ضربوا به مرتين وانفزر » ؛ وعندئذٍ زال الوهم عن المحاصرين .

...

ولقد عهد فخر الدين بامر البلاد في اثناء رحلته الى اخيه الامير يونس وابنه الامير علي . وكان الامير يونس يقيم في دير القمر ويطلع منها على سير الحصار. وذات يوم استغاث به المحاصَرون. فيقول الخالدي:

«أخيراً طلب المحاصَرون نجدة من الامير يونس في دير القمر فتطوع احد البلوكباشية مع ١٥٠ نفر وأعطى الامير يونس لكل واحد منهم خمسة غروش حبة ورغم ذلك لم يثبت منهم سوى ١٥ نفراً .

« وكان في الدير جواسيس لحافظ باشا فاعلموه بامر هذه النجدة فارسل من ربط لهم الطريق عند العقبة فوق جسر الخردلة ؛ فاجتازت النجدة ذلك الموقع في الليل بعد مقاتلة شديدة الى ان وصلوا الى القلعة فسحبوا سيوفهم وغاروا على الذين في المتاريس وصاحوا صيحة واحدة ؛ فانهزم من قدامهم الذين كانوا في المتاريس فاخذوا منهم ثلاث بيارق ، ثم نزلوا من الخندق وداروا الى جانب المزحلق وفتح لهم اهل القلعة باب السر وادخلوهم ٣٤ رجلاً لانه مسك منهم اثنان في الخردلة وقتل واحد وانهزم الباقي من الطريق . وعند الصباح نصبوا الثلاث بيارق التي اخذوها على شراريف القلعة فعند ذلك تيقظ الحافظ للقاطنين بسرايا دير القمر ... »

...

اجل ، ثار ثائر الحافظ باشا بعد حصار دام ٨٤ يوماً بلا جدوى ، ولا سيما ان الامير يونس تمكن من الاتصال بالحامية رغم النطاق المضروب . فحمله يأسه وحلول الشتاء على فك الحصار، وأقرّ الزحف بجيوشه الى جبال الشوف .

فطغت تلك الجحافل على الجبل وقد تفاقم غيظها بما منيت به امام القلعة من فشل وشرعت باكتساح القرى لا تبقي فيها ولا تذر ، فتعمل النهب والذبح والتدمير . ولفرط الترويع دعيت تلك السنة المشئومة باسم « سنة الحافظ » .

وما كان من الامير يونس ازاء حرج الحالة الا ان عمد الى الملاينة . وكانت دفة السياسة بيد والدته ذات المقدرة والدهاء ، الست نسب ، وهي من آل تنوخ ؛ وكانت تلقب « بالست الكبيرة » . فسارت بالمال الى الحافظ تستعطفه ، ورضيت بان تضع نفسها رهينة لديه في الشام رغم تقدمها في السن . وذلك بانتظار تبدل الحال وعودة الامير فخر الدين من اوربا .

٥ – بعثة توسكانا

بلغت الامير اخبار ثبات القلعتين امام هجوم الحافظ وهو مقيم في توسكانا بضيافة آل « مدسيس » ، فاثلج النبأ صدره ، وساعده في مفاوضاته والدول الاوربية وقد ظهرت لها قوته ومناعة بلاده .

ولكن حكومة الغراندوق شاءت ان تستثبت حقيقة الحال قبل التقيد بالمحالفة فاتفقت والامير على ايفاد بعثة الى لبنان غايتها الظاهرة التجارة ، والمقصد الحقيقي درس الحالة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

وجاءت البعثة تحت رئاسة « سانتي » ، وعُرفت باسمه ، فجابت البلاد طولاً وعرضاً بعد جلاء الجيش عن الشوف . وسهل لها الامير يونس مهمتها . فزارت قلعة الشقيف وهاك ما ورد في تقريرها عن هذه القلعة :

« قلعة الشقيف منتصبة على جبل صخري منزلق من جميع جهاته ، الا من جهة واحدة ضيقة جداً يسهل صد العدو عنها . وهي مبنية على شكل زاوية في غاية المناعة قد حفرت لها خنادق عميقة امام المواقع السهلة المنال فيها . لها ابراج مربعة تسع خمساية جندي وفيها من المؤونة الكافية وفيها صهاريج المياه وآبار الزيت وقيل ان قسماً كبيراً من خزانة الامير مدفون فيها في بطن الارض حسب عاداتهم»(١).

٦ – تسليم القلاع وهدمها

ومع اجتياح الحافظ باشا جبل الشوف والتنكيل باهله لم ينس فشله امام القلعة ، فبات في تلك السنة على الضيم يعد العدة لحملة جديدة .

وفي السنة التالية ١٦١٥ اقبل من الشام ومعظم جنوده من وجاق الانكشارية قاصداً قلعة الشقيف . ولكنه ما بلغها حتى بلغته اخبار عزله من ايالة دمشق على اثر مقتل الصدر الاعظم نصوح باشا وكان صديقاً له . فقفل راجعاً . وتولى بعده الصدر الاعظم الجديد محمد باشا المفاوضة بتسليم القلعتين الشقيف وبانياس . فرضيت الحامية بالتسليم ، اي بموالاة الدولة العثمانية . ولكن محمد باشا ، وقد جاء حلب لهذه المهمة ، اشترط ان لا يبقى في القلاع الا الحريم وبعض الخدم ، مما رفضته الحامية . وازاء الرفض عمد الصدر الاعظم الى كسب بعض القواد

١) يقال ان هناك دهليزاً يمتد من القلعة في بطن الجبل حتى نهر الليطاني لاجل استقاء المياه . وقد روى لي بعض اهل الجوار ان هناك بئراً يعتقدون ان المرأة اذا تدلت فيها يزول عقمها .

بالوعود والرشوة . فشعر الامير يونس معن بالمكيدة ونقل قائد السكمان في الشقيف الى صيدا ؛ ودعا قائد بانياس الى دير القمر ؛ وباشر تجهيز القلعتين مجدداً بالعازق والجند .

وبينما الامور تسير على هذا المنوال فرّ قائد بانياس ؛ المدعو حسين اليازجي ؛ خلسة في الليل الى حلب يرافقه الامير يونس حرفوش ، الذي لم يكن يضمر الولاء لآل معن ؛ يفاوضان الصدر الاعظم .

قال الخالدي :

« وقد شرطوا ان كلاً من القلعتين يهدم . فوقع هذا الكلام عند حضرة الوزير في موقع عظيم لانه ما كان يصدق ان هذا الكلام يصير . ووعد الامير حرفوش بسنجقية حمص اذا تم هدم القلاع ووعد حسين اليازجي بايالة صفد .

« الا انه ما طاب على خاطر الامراء المعنيين يونس وعلي هدم القلاع . ولكن نفذ الامر فما بقي يمكن الدفاع لان الوقت كان غير مساعد لطمع السكمان المقيمين في القلاع ، ولان الامير علي كان يعتمد على رأي حسين اليازجي وعلى اقواله وافعاله لان والده الامير فخر الدين كان دائماً يوصيه بذلك . وبقي حسين يقول لو رأيت وجه خلاص غير هذا لما فعلته فغلب المقدر المكتوب في الازل وهو خراب القلعتين المذكورتين . فاخرجوا جملة الحريم ولم يتركوا في القلعة احداً من حريم الامير . وجاؤوا بالكل الى صيدا والخوائج التي ما بيعت وفضلت عنهم نقلوها الى شقيف نيحا . واما حواصل الغلة بعدما راح منها للاكل وغيره في هذه المدة ثلاث سنين خمساية غرارة باعوها وجاءت من الشام للهدم معلمون وشرعوا فيه واستمروا في القلعتين مقدار اربعين نهاراً » .

...

واستندت الدولة العثمانية الى حسين اليازجي قائد السكمان الخائن حكم صفد جزاء مكره باسياده آل معن ، ولكن هؤلاء لم ينسوا له الاساءة ؛ فحمل عليه في السنة التالية الامير علي معن وقطع رأسه وجيء به الى مدينة صيدا عبرة لمن اعتبر .

ودارت الايام دورتها وعاد الامير فخر الدين من اوروبا الى سياسته اللبنانية غير غافل عن اعادة تحصين القلعتين . ولكنه لم يفوض امرهما الى حامية مأجورة ، بل الى جند من اللبنانيين كما ذكر ذلك « بيار لوجيده » في تقريره الذي اورده الاب بولس قرألي في كتابه عن فخر الدين .

وطلب من غراندوق توسكانا بعثة من المهندسين لترميم قلعتي نيحا والشقيف ، اي شقيف ارنون وشقيف تيرون ؛ باعتماد الفن ، وسعى لتحصين مرفأ صور بعد مرفأ صيدا .

٧ – منشأ الحزبين اليزبكي والجنبلاطي

وفي صدد البحث عن قلعة الشقيف فقد ذكر الخالدي في حوادث ١٦١٤ ان الشيخ يزبك عبد العنيف من اعيان الشوف سافر الى ايطالية للاتصال بالامير : وكان « للأمير عليه احسان ، وحكّمه بلاد صفد سنة ، وبلاد بشارة سنة ؛ وانصفه من خصمه الشيخ جنبلاط ؛ فوضعه في قلعة الشقيف محبوساً » .

والشيخ يزبك هذا من يكون ؛ ومن هو الشيخ جنبلاط خصم الشيخ يزبك عبد العنيف ؛ بل ما هي تلك الخصومة بينهما التي افضت الى حبس الشيخ جنبلاط في قلعة الشقيف ؟

اسئلة تدعو الى الظن بان الحزبين اليزبكي والجنبلاطي قاما في ذلك التاريخ ، فحلا محل الحزبين القيسي واليمني ، وفخر الدين يومذاك زعيم القيسيين .

اما الشيخ جنبلاط فقد يكون من انسباء علي باشا حاكم حلب وحليف فخر الدين نزل الشوف بعد تلك الهزيمة . ولكن يصعب القول ان الامير امر بحبسه مع حداثة اقامته في البلاد .

وفي كل حال فان لهذه العبارة في كتاب الخالدي شأناً مرموقاً في الافادة عن منشأ الحزبين اللبنانيين ، وهي تفسح المجال للبحث التاريخي امام من يملكون المصادر الصادقة البيان .

العلماء النصارى الملكيون الناطقون بالضاد

الذين نبغوا بمصر في عهد الدولة العباسية

بقلم الاب بولس سباط (†)
من اعضاء المجمع العلمي المصري

للنصارى الملكيين الناطقين بالضاد عدد وافر من اكابر العلماء ، نبغوا في البلاد المصرية ، وخدموها بعلومهم ومعارفهم خمسة قرون في عهد الدولة العباسية ، فنالوا من الثقة ، والحظوة ، والكرامة ، والجاه ، والثروة ، ما لم ينله كثيرون من ارباب العلم واصحاب المعرفة .

...

والملكيون هم التابعون للستمائة والثلاثين اسقفاً ، الذين اجتمعوا سنة احدى وخمسين واربعمائة ، بسعي مرقيانس الملك ، في مدينة خلقيدونية ، بالقرب من قسطنطينية ، وأبسلوا ديوسقورس بطريرك الاسكندرية ، وقالوا بالطبيعتين والاقنوم الواحد في سيدنا المسيح ؛ سماهم السريان اليعاقبة القائلون بالطبيعة الواحدة ملكيين ، لانحيازهم الى مرقيانس الملك .

...

لما دخل المسلمون ، سنة اربعين وستمائة ، ارض مصر ، كانت باجمعها مأهولة بالنصارى . وهم على قسمين متباينين في اجناسهم ، وعقائدهم : احدهما أهل الدولة ، وكلهم روم ملكيون ، وعددهم يربي على ثلاثمائة الف ملكي ، والقسم الآخر عامة اهل مصر ، ويقال لهم القبط ، وانسابهم مختلطة ، لا يكاد يتميز منهم القبطي من النوبي من الحبشي ، وكلهم يعاقبة ، ويبلغ عددهم عشرة آلاف الف او اكثر .

وكان الملكيون يبغضون اليعاقبة ، ويسومونهم العسف والحيف ؛ واليعاقبة يحقدون على الملكيين ، ويضمرون لهم الانتقام والشر . وكان بنيامين بطرك الاسكندرية اليعقوبي ، قد ابهظه نير الملكيين ، وكان يستثقل سلطتهم على اليعاقبة ويتحين الفرصة للاثار منهم ؛ فعاهد المسلمين ، واتفق معهم ، وسلّم اليهم الاسكندرية وبلاد مصر ؛ فأكرموه وأحسنوا اليه ؛ وأفازوه بأمانيه . وصار اليعاقبة عوناً للمسلمين على الملكيين ، وكتب الخليفة عمرو بن الخطاب لبنيامين البطريرك أماناً في سنة اثنتين واربعين وستمائة . وخرج الى عمرو بن العاص عامل عمر بن الخطاب ، من الاديرة التي ببرية الاسقيط والصعيد ، سبعون الف راهب يعقوبي ، بيد كل واحد عكّاز ؛ وسلموا عليه ، فكتب لهم عهداً . فتغلّب اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها ، وانفردوا بها دون الملكيين . وهرب جاورجيوس بطريرك الملكيين الى القسطنطينية ، وتضعضع امر الملكيين في الاسكندرية ومصر ؛ وبقوا سبعاً وتسعين سنة بغير بطريرك ، من عهد عمر بن الخطاب الى هشام بن عبد الملك .

...

ولما آلت الخلافة الى بني العباس ، وكان المسلمون قد قضوا نهمتهم من الفتوح ، وجنحوا الى الهدوء ، واخذوا في اجتناء ثمار الظفر ، ودعتهم الطمأنينة الى التبسط في اطراف الحضارة ، والاشتغال بالعلوم والصنائع المتداولة بين الأمم الخاضعة لسلطانهم ، وعمّ الامن ، استردّ الملكيون مكانتهم في البلاد المصرية ؛ فنبغ منهم كثيرون من أماثل العلماء ، نقتصر على ذكر اشهرهم :

...

فمنهم : بُلطيانس البطريرك ، المتوفى سنة اثنتين وثمانمائة . كان طبيباً حاذقاً ، وعالماً بشريعة النصارى الملكية ، ونصّب بطريركاً على الاسكندرية سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وأقام ستاً واربعين سنة .

لما ولّى الخليفة هرون الرشيد عُبَيْدالله بن المهدي مصر ، أهدى عبيدالله الى الرشيد ببغداد ، فتاة حسناء ، كلف بها الرشيد كلفاً عظيماً ، واعتلّت علة شديدة ، فعالجها الاطباء ، فلم تنتفع بشيء ، فقالوا له : « ابعث الى عبيدالله عاملك بمصر ان يوجّه اليك طبيباً من اطباء مصر ، فانهم ابصر بعلاج هذه

الفتاة من اطباء العراق » . فبعث الرشيد الى عبيدالله ان يختار له طبيباً من أحذق أطباء مصر ، فدعا عبيدالله بلطيانس البطريرك ، واعلمه بحبّ الرشيد للفتاة وبعلتها ، وانفذه الى دار السلام ؛ فعالجها بلطيانس وبرئت على يده . فوهب له الرشيد مالاً كثيراً ، وكتب منشوراً برد جميع الكنائس والاديار ، التي كان اليعاقبة اخذوها من الملكيين ، وتغلبوا عليها ؛ فانقلب بلطيانس الى مصر ، واسترد كنائس واديارًا كثيرة .

ولبلطيانس ترجمة عربية مجهولة لكتاب في فلاحة الارض مفقود ، ألفه بالرومية اناطوليوس البيروتي في المائة الرابعة ، استخرجها بلطيانس سنة خمس وتسعين وسبعمائة ليحيى بن خالد بن برمك ؛ عثرتُ سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف بمدينة المنصورة على نسخة منها قديمة ، فاقتنيتها لخزانة كتبي الخطية ، وألقيت سنة احدى وثلاثين وتسعمائة والف محاضرة عليها في المجمع العلمي المصري ، ونشرت شيئاً منها في مجلة المجمع[1] ؛ يتضح من مطالعة هذه الترجمة ان بلطيانس كان من المجيدين للغة العربية ، المتفقهين فيها .

* * *

ومنهم : البطريق ، الذي ازهر في النصف الثاني من المائة الثامنة . كان يحسن النقل من اليوناني الى العربي ، فأحضره الخليفة المنصور ، وتقدم اليه بنقل اشياء من الكتب القديمة ؛ فترجم كتباً كثيرة في الطب ، من تصانيف أبقراط وجالينُس ؛ وبذل له الخليفة العطاء ووفّر الانعام .

* * *

ومنهم : يوحنا بن البطريق ، الذي اشتهر في النصف الثاني من المائة الثامنة . كان يجيد الترجمة من اليونانية والرومية الى العربية ؛ فاستقدمه الخليفة المنصور ، وكلّفه البحث عن الكتب وترجمتها ، فراح يطلب الكتب من مظانّها وينقلها الى العربية ؛ واجزل له الخليفة الخلع وغمره بالاحسان .

وليوحنا بن البطريق كتب حكمية جمة نقلها من اليونانية والرومية الى العربية ؛ وله ترجمة كتاب السياسة في تدبير الرئاسة ، المنسوب لارسطوطاليس الفيلسوف ،

[1] Bulletin de l'Institut d'Egypte, t, XIII p. 47

وقفتُ ؛ سنة سبع عشرة وتسعمائة والف بحلب مسقط رأسي ؛ على نسخة منها قديمة ، فاقتنيتها ، واشرت اليها في « بيان خزانتي الخطية » الذي طبعته سنة ثمان وعشرين وتسعمائة والف[١] .

...

ومنهم : اسطاتيوس البطريرك ؛ المتوفى سنة ست وثمانمائة . كان عالماً متميزاً ، وناقلاً ماهراً من اليوناني والرومي الى العربي ؛ وكان في اول امره صاحب مصنع كتّان ، فعثر في البيت الذي كان يدقّ فيه الكتان على كنز ؛ فترهب في دير مار يوحنا القُصير[٢] ؛ ورأس هذا الدير ، وبنى فيه كنيسة دعاها كنيسة الابوسطليين اي الرسل ، وبنى قلاية لسكنى الاساقفة ؛ وقام بطريركاً على الاسكندرية ، بعد وفاة بلطيانس المتقدم ذكره ؛ وبقي اربع سنين .

ولاسطاتيوس كتب كثيرة نقلها من اليونانية والرومية الى العربية ؛ وله كتاب نفيس مجهول ، في الدفاع عن النصرانية ؛ عثرت عليه سنة ست وعشرين وتسعمائة والف بالقاهرة ، فابتعته ، ووصفته وصفاً كافياً في « بيـــان خزانتي الخطية »[٣] الذي اشرت اليه آنفاً ؛ يتبين من تصفح هذا الكتاب ان اسطاتيوس كان من العلماء المتميزين والكتبة القديرين .

...

ومنهم : صفرونيوس البطريرك ؛ المتوفى سنة سبع واربعين وثمانمائة . لما كانت سنة اربع وثلاثين وثمانمائة ، نصّب صفرونيوس بطريركاً على الاسكندرية وأقام ثلاث عشرة سنة ؛ وكان فيلسوفاً حكيماً .

ولصفرونيوس مقال كبير في السجود للصليب الكريم ؛ وكرام صور سيدنا المسيح ؛ وسيدتنا مريم والقديسين ؛ يرد فيه مناوئي الايقونات .

...

١) Paul Šbath, Bibliothéque des Manuscrits Paul Sbath, n 884

٢) هذا الدير الشهير كان يمتد على قرن الجبل الشرقي ، ومنه : يشرف على بحر النيل وطرا ، وهي بلدة معروفة قريبة من مدينة حلوان وعلى طريقها . وكان في هذا الدير عشر كنائس ، ونحو ستة آلاف راهب ملكي .

٣) No. 1011

ومنهم : سعيد بن ثوفيل ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة .. كان طبيباً حاذقاً ، وكان لاحمد بن طولون صاحب مصر من اطباء الخاصة ؛ يصحبه في السفر والحضر ، وكان ابن طولون يجزل له العطاء ويخلع عليه الخلع .

ومنهم : عيسى بن البطريق، الذي أزهر في النصف الاول من المائة العاشرة . هو اخو سعيد بن البطريق ، الذي سنذكره ؛ وكان طبيباً عارفاً بصناعة الطب ، علماً وعملاً ، ممتازاً في جزئيات المداواة والعلاج ؛ بارعاً فيها ؛ وكان مقامه بمدينة مصر القديمة .

...

ومنهم : يوسف البطريرك ، المتوفى سنة اربع وثمانين وتسعمائة . كان طبيباً ماهراً بمصر ؛ فاضلاً في العلوم . ولما كانت سنة ثمانين وتسعمائة ؛ سمي بطريركاً على بيت المقدس ، واقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية اشهر ؛ ومات بمصر ؛ ودفن في كنيسة مار ثيودورس .

...

ومنهم : ابو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان الذي توفي سنة تسعين وتسعمائة . كان طبيباً حاذقاً وعالماً فاضلاً . وتقدم عند الخلفاء المصريين ؛ وعلا جاهه في ايام العزيز بالله ؛ واقتنى المال الجزيل . ولما توفي أُخذ بجنازته بعد الظهر ، وبين يديه خمسون شمعة موقدة ، وعلى تابوته ثوب مثقّل ؛ وخلف جنازته المطران اخو السيد ، وأبو الفتح منصور ابن مقشر طبيب الخليفة الخاص ، ماشين ؛ وسائر النصارى ؛ وصُلّي عليه في كنيسة الروم بقصر الشموع طول الليل ؛ ثم أُخرج الى دير القُصير ، فدفن هناك .

ولسهلان بن كيسان كتاب في الاقراباذين مجهول ؛ اكتشفته سنة سبع عشرة وتسعمائة والف بمدينة الشهباء وأومأت اليه في كتابي « الفهرس »[١] الذي طبعته سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة والف . ولسهلان بن كيسان ايضاً مختصر في الطيب مجهول ايضاً ، صنفه للخليفة العزيز بالله ملك مصر ؛ عثرت عليه

١) Paul Shath, Al-Fihris, n°356

سنة احدى واربعين وتسعمائة والف بالقاهرة ، عند الطبيب الذكر الاسقف ايسيذورس اليعقوبي الحمصي[1] ، فاستنسخته ، وألقيت محاضرة فيه بالمجمع العلمي المصري ؛ يتضح من مطالعة هذا الكتاب ، ان سهلان بن كيسان ، كان من اكابر العلماء ، وأماثل المصنفين .

...

ومنهم : ابو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر ، الذي نبغ في النصف الثاني من المائة العاشرة ؛ كان من نُطُس الأساة بالديار المصرية ، وله منزلة سامية عند اصحاب القصر ، ولا سيما في ايام الخليفة العزيز بالله ، الذي كان يستطبه ويحترمه .

اعتلّ ابو الفتح ، وتأخر عن الركوب ؛ فلما تماثل ، كتب اليه العزيز بخطه :

« باسم الله الرحمن الرحيم ، طبيبنا سلّمه الله سلام الله الطيب ، وأتمّ النعمة عليه ؛ وصلت الينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب وبُرئه ، والله العظيم ؛ لقد عدل عندنا ، ما رُزقناه نحن من الصحة في جسمنا ، أقالك الله العثرة ، وأعادك الى افضل ما عودك من صحة الجسم ، وطيبة النفس ، وخفض العيش ، بحوله وقوته »[2] .

وخدم ابو الفتح ، بعد العزيز ، ولده الحاكم ، وكان من الخواصّ عنده .

...

ومنهم : ابن مقشر ، الذي اشتهر في فجر المائة الحادية عشرة . هو ابن ابي الفتح المتقدم ذكره ، وخدم الحاكم بأمر الله ، وبلغ عنده أعلى المنازل وأسماها ، ونال منه الصلات الجزيلة والعطايا العظيمة . مرض ابن مقشر ، فعاده الحاكم بنفسه ؛ ولما مات ، اطلق لمخلّفيه مالاً وافراً .

...

ومنهم : أبو سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة ، الذي توفي سنة سبع وثمانين ومائة والف . كان فاضلاً في صناعة الطب ، ممتازاً في العلوم ،

---

١) انتقل الى رحمته تعالى في ١٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٤٢ .

٢) مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٣١٦ .

عارفاً باحكام النجوم معرفة بالغة ؛ وكان من اهل القدس ، ثم انتقل الى الديار المصرية في زمن الخلفاء ؛ وكان حظياً عندهم .

اتفق ان انبأ أبو سليمان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بفتح بيت المقدس ؛ فلما اكتملت نبوته ، استدعاه الملك الناصر اليه ، وقام له اجلالاً ، وقال له : انت شيخ مبارك ، وقد وصلت الينا بشراك ، وتمّ جميع ما ذكرته ، فتمنّ عليّ » ؛ فقال له : « اتمنى عليك حفظ اولادي» . فاخذ الملك الناصر اولاده ، واعتنى بهم ، ووصّى اخاه الملك العادل بان يكرمهم ، ويكونوا من الخواصّ عنده ، وعند اولاده ؛ فكان كذلك . وهجر ابو سليمان في اواخر حياته الدنيا ، وانقطع الى عبادة الله في احد الاديار .

ولابي سليمان مقالة في الترياق الفاروق مجهولة : اكتشفتها سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة والف بحلب ، ومقالة في الترياق الالهي مجهولة ايضاً ، وقفت عليها سنة ست وعشرين وتسعمائة والف بالشهباء ، وأومأت الى هاتين المقالتين في كتابي « الفهرس » [1] الذي أسلفت ذكره .

...

ومنهم : مهذّب الدين ابو سعيد ، المتوفى سنة ست عشرة ومائتين والف . هو ابن ابي سليمان المتقدم ذكره ، وكان ماهراً في صناعة الطب ؛ وخدم الملك الناصر ، والملك العادل ؛ وكان الملك العادل قد أقامه في خدمة ولده الملك المعظم ، واكرمه غاية الاكرام ، وأمر ان لا يدخل قلعة من قلاعه الا راكباً ، مع صحة جسمه . وانتقل ابو سعيد من بيت المقدس الى الديار المصرية ، وعلّت فيها منزلته وكثر ماله ؛ ومات بمصر ، ودفن بدير الخندق عند القاهرة .

...

ومنهم : موفق الدين ابو شاكر ، المتوفى سنة ست عشرة ومائتين والف . هو ابن ابي سليمان ، واخو مهذب الدين المتقدم ذكرهما ؛ وكان حاذقاً في صناعة الطب ؛ وكان الملك العادل يعتمد عليه في المداواة ؛ ويصفه بحسن العلاج ؛ فكان يدخل في جميع قلاعه وهو راكب ؛ مع صحة جسمه . وكان

(١ N° 339 et 340

الملك العادل قد أقامه في خدمة ولده الملك الكامل، فحظي عنده الحظوة الكبرى، واصاب من هباته، وصلاته، وإقطاعاته، شيئاً كثاراً. وبلغ من حظوته عند الملك الكامل، ان اسكنه عنده في قصره بالقاهرة، وكان الملك العادل ساكناً بدار الوزارة؛ فركب يوماً الملك العادل على بغلة النوبة التي له، وخرج الى بين القصرين، فامتطى فرساً، وسيّر بغلته التي كان راكباً عليها الى دار موفّق الدين بالقصر، وأمره بركوبه عليها، وخروجه من القصر راكباً، ولم يزل الملك العادل واقفاً بين القصرين، الى ان وصل اليه موفق الدين، فأخذه بيده، وسايره وهو يتحدث معه الى دار الوزارة، وسائر الامراء يمشون بين يدي الملك الكامل.

...

ومنهم: أبو الفضل بن ابي سليمان، الذي توفي سنة ست واربعين ومائتين والف. هو اخو مهذب الدين، وموفق الدين المتقدم ذكرهما، وكان عالماً بصناعة الطب، ممتازاً في المعالجة؛ وكان طبيباً للملك المعظم بن الملك العادل، مقيماً بالكرك؛ ثم صار طبيباً للملك الكامل بالديار المصرية، وحظي عنده، ونال من هباته شيئاً كثاراً؛ ومات بمصر.

...

ومنهم: رشيد الدين ابو سعيد بن موفق الدين يعقوب، الذي توفي سنة ثمان واربعين ومائتين والف. كان ماهراً في صناعة الطب، متضلعاً منها نظراً وعملاً؛ وكان حادّ الذهن بليغ اللسان، فصيح اللفظ. خدم الملك الكامل بالقاهرة زماناً فخصّه بالود وأناله وأغناه. ثم خدم الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل؛ ومات بدمشق.

ولرشيد الدين من المصنفات كتاب عيون الطب، صنفه للملك الصالح؛ وهو من أجلّ ما صنف في صناعة الطب؛ وله ايضاً تعاليق على كتاب الحاوي للرازي في الطب.

...

ومنهم: رشيد الدين أبو حُلَيْقة، الذي توفي سنة سبع وسبعين ومائتين

والف . هو ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى ابن ابي فانة السابق ذكره ، ويعرف بابي حُليقة ، وكان أوحد زمانه في صناعة الطب ، والعلوم الحكمية ، وكان متفنناً في العلوم والآداب ، حسن المعالجة ، لطيف المداواة ، رؤوفاً بالمرضى ، محباً لفعل الخير ، مثابراً على الامور الشرعية ، كثير العبادة .

ولد ابو حليقة بقلعة جعبر ، وخرج منها الى الرُها ، وربي فيها مدة ثماني سنوات : وكان والده الفارس يلبسه لباس الجندية مثل لباسه ، وكان يسكن بدار ملاصقة لدار السلطان ، فاتفق ان الملك الكامل دخل فيها الحمَّام ، فاعطى الفارس ولده شيئاً من فاكهة وماء ورد ، وأمره بحمله الى الملك ، فحمله اليه . فلما خرج من الحمام وقدمه اليه ، اخذه الملك الكامل بيده ، وكان عمره نحو ثماني سنين ، ودخل الى الملك العادل ؛ وحينما ابصره الملك العادل ، ولم يكن رآه قبلها قط ، قال للملك الكامل : « يا محمد هذا ابن الفارس » ، لانه أخذه بالشبه ، فقال : « نعم » ، قال : « هاته اليَّ » ؛ فحمله الملك العادل ، ووضعه بين يديه ، ومسك بيده ، وتحدث معه طويلاً ؛ ثم التفت الى والده ، وكان قائماً في خدمته مع جملة القيَّام ، وقال له : « ولدك هذا ولد ذكي ، لا تعلّمه الجندية ، فالاجناد عندنا كثيرون ، وأنتم بيت مبارك ، قد استبركنا بطبكم ، فسيِّره الى الطبيب ابي سعيد بدمشق ، ليُقرئه الطب » ، فامتثل والده الامر ، وسيَّره الى دمشق ، فأقام بها مدة سنة كاملة ، ثم جاء الى القاهرة في سنة ثلاث ومئتين والف ، وأقام بها .

وخدم ابو حليقة الملك الكامل ، وكان حظياً عنده وله منه الاحسان الجزيل والانعام المتصل ، وبقي في خدمته الى ان توفي الملك الكامل . وخدم بعده ، ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب ، الى ان توفي الملك الصالح ، وخدم بعد الملك الصالح ، ولده الملك المعظم . ولما قتل الملك المعظم ، وجاء الاتراك ، واستولوا على البلاد المصرية ، صار في خدمتهم ، وأجروا له ما كان باسمه ، وخدم منهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، الذي احترمه ، وأكرمه وأجزل له العطاء . واعتزل ابو حليقة في اواخر حياته خدمة الملك الظاهر ، وانقطع الى العبادة والصلاة في احد الاديار ، اسوةً بجده داود بن ابي المنى الذي اسلفنا ذكره .

...

ولابي حليقة من المصنفات مقالة في ان الملاذّ الروحانية ألذّ من الملاذّ الجسمانية ، اذ الروحانية كمالات وإدراك الكمالات ؛ والجسمانية انما هي دفع آلام خاصة ، وإن زادت أوقعت في آلام أُخر ؛ وله مقالة في ضرورة الموت ؛ ومقالة في حفظ الصحة ، وقفت على نسختين منها بحلب ، أشرت اليهما في كتابي « الفهرس » [١] المذكور آنفاً ؛ ولابي حليقة ايضاً كتاب في الادوية المفردة ، سمّاه المختار في الالف عقّار ، وجدت نسختين منه بالشهباء ، أومأت اليهما في كتابي « الفهرس » [٢] ؛ ولابي حليقة ايضاً كتاب في الامراض ، واسبابها ، وعلاماتها ، ومداواتها بالادوية المفردة والمركبة .

...

ومنهم : مهذّب الدين أبو سعيد بن ابي حليقة ، الذي نبغ في النصف الثاني من المائة الثالثة عشرة ، هو ابن ابي حليقة المتقدم ذكره ، ولد بالقاهرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف ، وقرأ على ابيه العلوم الطبية ، وأحاط بالعلوم الحكمية . وكان جميل الخلق ، لطيف الكلام ، محسناً الى الصديق والنسيب والبعيد والقريب . وخدم السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، ونال عنده منزلة مكينة ، فكان يحترمه ، ويبذل له العطاء ويوفر الانعام .

ولمهذب الدين ابي سعيد كتاب في الطب .

...

ومنهم : موفق الدين أبو الخير بن أبي حليقة ، الذي اشتهر في النصف الثاني من المائة الثالثة عشرة . هو أخو مهذب الدين المتقدم ذكره ، وكان ماهراً في صناعة الكحل كثير العلم والفضل . وصنّف للملك الصالح نجم الدين ايوب كتاباً في الكحل ، من قبل ان يبلغ من العمر عشرين سنة ، عثرت على نسخة من هذا الكتاب بحلب ، ذكرتها في كتابي « الفهرس [٣] » .

...

ومنهم : علم الدين ابو نصر ابي حليقة ، الذي اشتهر في النصف الثاني من المائة الثالثة عشرة . هو الاخ الاصغر لمهذب الدين ، وموفق الدين المتقدم

١) N° 128
٢) N° 127
٣) N° 2507

ذكرهما ، وكان مفرط الذكاء ، معدوداً في مصاف العلماء ، حاذقاً في صناعة الطب ، كامل العلم واللب .

...

أرجأت ذكر سعيد بن البطريق المتوفى سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ، لاختم به الكلام . ان سعيداً بن البطريق هو نابغة الملكيين في تلك العصور ، وإمام اولئك العلماء ، وهو من اهل فسطاط مصر ، وكان طبيباً ماهراً في صناعة الطب نظراً وعملاً ، وكان متقدماً في زمانه ، متضلعاً من علوم النصارى ، عارفاً بمذاهبهم وسننهم معرفة بالغة ، وكان قريع دهره في علم التاريخ . ولد سنة ست وسبعين وثمانمائة ؛ ولما كانت سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، نصّب بطريركاً على الاسكندرية ، وسمي اوتوشيوس ، وله من العمر نحو ستين سنة ، وبقي في الرئاسة سبع سنين وستة اشهر . واعتلّ في مصر بالاسهال ، فانبأ بانها علة موته ، فسار الى كرسيه بالاسكندرية ، واقام بها اياماً قليلة عليلاً ، وانتقل الى جوار ربه .

ولسعيد بن البطريق من المصنفات كتاب نظم الجوهر ، وهو تاريخ عام من عهد آدم الى زمانه ؛ الفه لاخيه عيسى بن البطريق المتطبب ؛ في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم واعيادهم ، وفي تواريخ الملوك المتقدمين والخلفاء ، وفي ذكر البطاركة واحوالهم ومدة حياتهم ومواضعهم وما جرى لهم في ولايتهم ؛ عثرت على نسخة من هذا التاريخ في الشهباء ، اشرت اليها في كتابي « الفهرس »[١] وذيّل هذا التاريخ نسيب لسعيد بن البطريق ، اسمه يحيى بن سعيد بن يحيى ، ووسم كتابه بكتاب تاريخ الذيل . طبع كتاب نظم الجوهر في اكسفورد سنة ثمان وخمسين وستمائة والف ، مع ترجمته الى اللغة اللاتينية بهمة العلامة ادورد پوكوك ؛ وجُدد نشره بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ست وتسعمائة والف ، مع الذيل المذكور باعتناء الاب لويس شيخو اليسوعي .

ولسعيد بن البطريق من المصنّفات ايضاً ، كتاب في الطب نظر وعمل ؛ وكتاب الكناش في الادوية المفردة والمركبة ، وجدت نسختين منه الواحدة بحلب والآخرة بالقاهرة ، أومأت اليهما في كتابي « الفهرس »[٢] ؛ ولسعيد بن البطريق

١) N° 22

٢) N° 23 et Supplément, p. 78.

ايضاً كتاب الجدل بين المخالف والنصراني ؛ وكتاب البرهان ؛ وهو سفر جليل في التوحيد والتثليث ؛ وقفت على ثلاث نسخ منه في الشهباء ، ذكرتها في كتابي « الفهرس »(١) . نسب هذا الكتاب خطأ الى القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ؛ فأبان مؤخراً العلامة القس جراف الالماني ، ان مصنفه هو سعيد بن البطريق .

...

اتمنى للملكيين الناطقين بالضاد : في الطائفتين الارثوذكسية والكاثوليكية الشقيقتين ، ان يتعاضدوا ويتناصروا : بهدي رؤسائهم الحكماء الافاضل ؛ وينجبوا للبلاد المصرية ، ما أنجب أسلافهم في عصر العباسيين ، من أكابر العلماء .

...

الكتب التي اعتمدت عليها في تأليف هذا البحث

نظم الجوهر او التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق للبطريرك سعيد بن البطريق . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٦–١٩٠٩ جزء ٢ Ed. Cheikho

مختصر تاريخ الدول لابن العبري . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ .

كتاب الفهرست لابن النديم Flügel, Leipzig 1871

إخبار العلماء باخبار الحكماء لجمال الدين القفطي . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ .

كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة . المطبعة الوهبية مصر ١٨٨٢ .

تاريخ ابي صالح الارمني Evetts, Oxford 1895

تاريخ ابن العميد . ليدن ١٦٢٥ Erpénius

خطط المقريزي . مطبعة النيل مصر ١٣٢٦–١٣٢٤ جزء ٤ .

Paul Sbath, *Bibliothèque des Manuscrits.*

Paul Sbath, Le Caire 1928-1934, Imprimerie syrienne et au prix coûtant 3 vols.

Paul Sbath, *Al-Fihris* (Catalogue de Manuscrits Arabes), Le Caire 1938-1940, Imprimerie Al-Chark, 3 vols.

Paul Sbath, *L'ouvrage géomonique d'Anatolios de Berztos* (Extrait du Bulletin de l'Institut d'Egypte, t. XIII).

(١ N° 176

الفوائد الطبية (تابع)

بقلم
الاب انطونيوس شبلي اللبناني †

الخدر

يؤخذ رماد سرطان ويخلط بزيت ويضمد به .

وكذلك القطران وحده ينفع سواء كان شرباً او طلياً .

وان الاكثار من نزول الحمام ينفع .

وان غُلي شحم الحنظل بالزيت ودُهن به نفع. وان في الحنظل الأخضر ايضاً نفعاً .

اذا حدث حكاك في الأطراف

يؤخذ ماء حارّ جدًّا ، ويُطرح فيه كفّ ملح ، ويضع صاحب الحكاك اطرافه فيه ساعة .

القنفذ

احرق جلد القُنفذ واخلط رماده بزوم البصل واغمس بصوفة وتتحملها الامرأة اربع عشرة ليلة ، فتعود كما كانت ، لا تصدّ الوطئ ، ولو وطئها الرجل سنة كاملة .

وان أُكل لحم القنفذ مشوياً او مطبوخاً ، نفع وجع الكلي والجذام ووجع الامعاء .

وان حمله انسان ، لا يفزع ، وان علّق على مجنون ، فاق حالاً .

القنفذ الصغير

اذا غُلي وأُخذ من دهنه على عود طرفه (طرفاء) او عود زيتون ، ورُكز في البيت ، فتجتمع عليه جميع البراغيث .

وان غليت عينه اليمنى بدهن اللوز الحلو في اناء من نحاس (٧٧) وتكحّلت به ، فانك ترى في الليل مثل النهار .

وان اخذت ضفدعة بعلية يابسة في الظل، وسحقتها ناعماً ووضعتها في ورقة تحت رأسك ، اي تحت مخدتك ، فتجتمع عليها كل البراغيث .

مرقد كبير لمن لا ينام

يُؤخذ افيون ، ويحلّ بماء الكزبرة ، ويطلى به الجبين والصدغين ، فيرقد لوقته (في الحال) .

او يؤخذ قشر بيض محروق ، ويلتّ بالعسل ويؤكل ، فانه يغلب النوم.
وان جبلت الرماد بماء القلي وطليت به الخشب ، فيصير احمر .

برودة الأعضاء

تؤخذ قرميّة من الرفغان الصغير ، وتقشر وتُدقّ ، ويضاف اليها جزء من قلب الجوز والثوم ، وتغمر بالزيت العتيق وتُغلى حتى يحمرّ . ثم يُصفى ويرمى الجماش ويدهن بالجلوس في الشمس . فهو نافع جداً .

الفصل الحادي عشر

حساب

للبلد الموافق السكنى فيه

احسب اسمك واسم البلد الذي تريد ان تسكنه ، واسم أمك . وأسقط الاعداد اربعاً . فان بقي ٤ ، فالبلد ممتزج الحال . وان بقي ٣ ، فهو اوفق حال ؛ وان بقي ٢ ، فممتزج الحال ، وان بقي ١ ، فهو رديئ لا يوافق .

واذ سألك سائل عن مريض ، او عن حاجة ، او عن غائب . احسب اسم السائل ، واسم اليوم الذي يسألك فيه ، كم خرف ، كما مر في حساب البلد ، وذلك بحساب الجمل الكبير .وأضف مع الحساب ما مضى من ايام الشهر القمري ؛ وأضف فوقها عشرين من عندك ، واجمع الجميع واسقطه ثلاثين ثلاثين . وانظر ما بقي من العدد وامش على اللوح ، فان (٧٨) كان في لوح الحياة يتم الغرض ، فالمريض يبرأ ، والحاجة تُقضى ، والغائب يرجع سالماً . وان كان في لوح المات بالعكس ؛ فاحسب اسم المريض عوض اسم السائل .

وفي السفر ، اذا سألك احد ان مراده السفر ، فاحسب اسمه واسم أمه واسم اليوم الذي مراده ان يسافر فيــه في الجمل المذكور ، واجملها واسقطها ٣ ؛ فان بقي واحد او ثلاثة ، فذلك اليوم هو رديئ ؛ وان بقي اثنان ، فهو جيد .

والمريض ، احسب اسمه واسم اليوم الذي مرض فيه في الجمل الكبير ؛ واسقطها ثلاثة ، فان بقي واحد يبرأ سريعاً . وان بقي اثنان ، يطول مرضه ؛ وان بقي ثلاثة يموت .

لو	ح	الحيـاة	لوح		المـوت
٠١	٢	٣	٠٤	٠٥	٦
٠٧	١١	١٣	٠٨	٠٩	١٠
١٤	١٦	١٧	١٢	١٥	١٨
١٩	٢٠	٢٢	٢١	٢٤	٢٥
٢٣	٢٢	٢٨	٢٧	٢٩	٣٥

اعلم

ان المثقال درهم ونصف. والدرهم ، ثقل اربع وسبعين حبة قمح . والقيراط ثقل عجوة خروب(٧٩) .

الداحس

تؤخذ عصارة السلق ، وزيت حلو وشمع ، وتجعل لزقة .

او خذ خميرة وسمن وقليل من الدبس . اجبل وضع لزقة .

او ضع عليه روث انسان طريٌ سخن ، من المساء الى الصباح مرة واحدة ، يُشفى . مجرَّب.

العلقة

اذا سقطت العلقة الى المعدة ، اطبخ الترمس المرّ المدقوق مع الافسنتين ، واسق صاحب العلقة ، فانها تقع حالا .

وجع الاكتاف

يدهن بدهن نوفر .

الحر

يُؤخذ من سمخ العاشق بقدر الحمّصة ، ويذوَّب بقليل من الماء ، او بحليب امرأة ويُسقى للطفل .

النزول والخدود

يُؤخذ طحين فول ، او طحين شعير ، وزلال بيضة ، ويخفق ويوضع لزقة على الزلاعيم .

أو يؤخذ خلّ حادق ، وسمن اقلّ من ثلث الخلّ ، ويُغلى ويشرب منه سخناً كباية نظير القهوة .

لضيق النفس

خذ سلاطعين نهريات ، واطلها بالعجين واشوها ، واسحقها ناعماً واجبلها بالعسل المنزوع الرغوة ، وكلْ منها على الريق قدر لوزة .

الضفدع تحت اللسان

يؤخذ عفص محروق ، ويدقّ ناعماً ؛ ويُؤخذ قدره شنادر ، ويُكبَس به تحت اللسان .

لقطع دم الجرح

تُؤخذ شبة بيضاء ، وعفص ، وثمر الطرفه (الطرفاء) وورق صفصاف . يُدقّ الجميع ويرش على الجرح .

او يوضع عليه فشكة حمار طريئة سخنة .

او ضع على الجرح رماداً .

او اغسله بالخل جملة مرار .

صفة نار

تُؤخذ نصف اوقية شبة ، وتسحق ناعماً جداً . ثم يُؤخذ ربع اوقية طحين قمح منخول وجهين . اخلط وضع في طواية من نحاس ، وحمّصها مثل القهوة ، وارفعها لتبرد . ثم ضعها في بودقة (بوتقة) جديدة واضرم تحتها نار الفحم(٨٠) . وسوّق عليها سوقاً بليغاً حتى تصير الاجزاء كالحجر . ثم ارفعها وفرّغها في قنينة بسرعة زائدة ، وسدّ فمها حالاً . ومتى اردت استعمالها افتحها بسرعة ؛ وضع فيها قشة فتشتعل ، وسدّها حالاً .

قيل : ان من يحمل معه العوسج ؛ فلا يأخذ (يؤثر) عليه السحر .

وجع الأوراك

ليحمل صاحبه في جيوبه كعاب غنم .

طعم الزيتون

فهو في الثامن عشر من تموز ، جيّد جداً للحملان (للحمل) والمعيشة .

الأقرع

يدهن بدم قطّ (بسين) .

او تؤخذ سرابذ فطير ، تحرق وتُغلى بالزيت العتيق حتى تحلّ . ثم يغسل الاقرع رأسه بالماء والصابون جيداً حتى تذهب منه كل القشرة ، ثم يطلي عليه بما ذُكر كم مرة .

ريح اللاوص

يؤخذ زوم طيّون ، وزوم هليون اي اللبنة ويشرب منه قدر اوقية . اياك ان تكتوي .

او يحمّص الدخن جيداً ويوضع على الصرّة سخناً .

او يحمّص النمل الزرعي ويسحق ويذوّب بقدر نشقة تتن (تبغ) في اوقية خمر اصفر ويُسقى .

او اغل حشيشة القنطاريّون غلياً جيداً واشرب .

نزيف الدم

يؤخذ قليل من شعير قد حُمّص جيداً ، ويُذوّب باوقية خمر اسود ويسقى ثلاث مرات .

او اغلِ القرّيص جيداً واسق منه كباية ، ثلاث مرات .

علامة المريض

اذا اسودّ رأس لسانه ، ووقف أنفه ، واغبرّ لون وجهه ، وقصر نفسه ، فيكون قريباً من الموت جداً (٨١) .

عضة كلب الكلبان

يُؤخذ شعر انسان ويغلى بالخلّ . ويدهن به .

وقيل انه اذا نظر وجهه في مرآة يراه كصورة كلب ، وانه لا يمرّ على ماء الا ويعكّره .

او اكوِ مكان العضة حالاً ، قبل ان يسرح سمّه ، وبلّغ الكي جداً حتى يختفي الجرح . وهذا قيل انه مجرّب .

او دق حشيشة أذن الكلب وضعها لزقة .

حرار الدم

يُؤخذ افيون وعفص وصبر وزبيب اسود ، اجزاء سواء . يدق ، ثم يُؤخذ منه مقدار ثلاثة دراهم ، كم مرة .

الذباب

خذ الملح الناعم وامزجه بالزيت ، وادهن به فم الوعاء ، فلا يعود يقرّبه اي ذباب كان .

حتى يسقط الجنين الميت

تأخذ المرأة تحميلة من بخور مريم ، او تدقه وتعصره وتغمس به صوفة وتتحمّل بها . ثم تلطخ الصرّة برقعة مبتلة به .

صيد السمك

خذ الطرطير ، وبعر معزى ، وطحين شعير ، ودم غنم ، اجزاء سواء . دقّ وضع في خرقة رفيعة والقها في الماء ، فيجتمع عليها السمك فيُصاد .

الوتاب والبردية

اذا علّقت رفش زلحف في رأسك (عنقك) ذهب عنك الوتّاب والبردية .

حل المعقود

يُؤخذ ريش غراب ، ومرارة قنفذ ، يُدقّ ناعماً ويجبل بسيراج ، ويدهن به كل جسمه .

او يشرب قلب سنونو بالخمر الاصفر .

او يأخذ بزر البطم ، وبزر الفجل ، وبزر الجزر ، وبزر الحمّيضة . من كل شكل درهم. يدقّ ويجبل بعسل ويأخذ في الصباح(٨٢) درهماً وعند النوم درهماً .

وجع الظهر والركب

يُؤخذ دقيق الترمس ، ودقيق الفول ، وشحم الحنظل ، يجبل بالدبس ويطلى به .

او خذ القيجم واغله بالماء حتى يصمد فنجان ، وأضف اليه فنجان زيت عتيق ، وادهن به .

نقار (نقر) الخشب

اذا سمّرت على باب عشه (كذا) في نعلة حديد ، فيأتيك بحجر مغناطيس.

فوائد

اذا دخنت بريشة دجاج تحت أنف من كان غاياً (مغمياً عليه) ، أفاق .

اذا بللتَ خرقةً بالعرق ووضعتها على زلاعيمك قبل أخذ الدواء ، فانك تنجو من تقيئه .

اذا تقبت التينة المحلزنة في بِرّينة ، ذهب عنها الحلزون .

اذا أحرقت العنكبوت وتنشّقته ، قطع دم الرعف .

اذا وضعت المرتك بالخمر الفاسخ (الفاسد) رجع الى صحته .

اعلم ان كيّ الحمّصة في اليد او الرجل اليمين ، يضرّ النساء . وفي اليد او الرجل الشمال ، يضرّ الرجال ، لانه قريب للقلب ، ولان قلب الرجال على الشمال ، وقلب النساء على اليمين .

اذا بخّرت المنزل بحافر الخيل ، هرب منه الفأر .

الفصل الثاني عشر

للمعدة

يُؤخذ درهمان من الصندل ، يُغلى بماء ويشرب .

او يُؤخذ درهم من عود قاقل ، ونصف درهم من سكر النبات ، يسحق

ناعماً ويُذوّب في فنجان ماء زهر او نبيذ اصفر ويشرب . وهو يقوّي المعدة ايضاً .

او يُؤخذ درهمان من الكراويا ، ودرهم من السكر ، ويُغلى بماء ويشرب . فهو يرفع نفخ المعدة ويسكّن أوجاعها . ومع الخلّ لوجع القلب (٨٣) .

أو يوضع عنبر في القهوة وتشرب على الريق .

او يُؤخذ كل يوم على الريق ، نصف درهم صبر اشقر ، وذلك في ايام الدفء .

او يؤخذ درهمان قرفة ، ودرهمان مستكي ، وخمسة دراهم زيت ، واوقيتان خمر اسود ، وتُغلى قليلاً ، ويضاف اليها من الخميرة مقدار الجوزة ، وتمدّ على خرقة ، ويرش فوقها النعنع الجوّي الناعم ، وتوضع لزقة على السرّة ، فانها تحلّل الارياح وتمنع القيء ايضاً . او ان تُؤخذ من بطات الرجلين .

او تؤخذ ثلاث قرمات من قصبة السوداء النيئة وتُلتّ بلكّ وتُؤكل على الريق مرة واحدة . وعلامة اللكّ انه على شكل النشارة التي تقع من المنشار .

الجدري

يُؤخذ طحين شعير ويخلط بماء كثير ويُطلى به البدن وقت حدوث الجدري .

ومثله الورد اذا سُحق وذرّ على الرأس .

ومثله حب السّماق ، اذا قُطر في العين عند ظهور الجدري ، أمن صاحبها من ظهوره في عينيه ، وذلك في اول طلوعه في البدن .

ومثله الحنّة على قدمي الاطفال .

ومثله السمسم اذا دقّ وطلي به قدمي الرجال .

ورم الأنف

يُؤخذ صبر ، يُدقّ ويُذوّب بالماء ويُدهن به .

الطحال

يُؤخذ ورق طيّون اخضر ، ويُدقّ جيداً جداً ، ثم يُلقى عليه وزنه اي ثقله : نشاء حنطة ناعم ، ويُدقّ ايضاً حتى يصير مثل العجين ، ثم يحبّب مثل الفلفل ، ويُؤخذ منه على ثلاثة اسابيع . يوماً خمس حبات . ويوماً سبع حبات . والغذاء يكون اشياء حارّة لطيفة سالمة من الارياح (٨٤) .

حشيشة الغبري

الدسم الذي لا رمليّة فيه . وهو الكرّات وقيل انه الشعنين وهو الأصح .

هو حار رطب في الأولى . لطيف منضّج . يشمّ للزكام، ويقوّي الشعر ويسوّده ويمنع من انتشاره اي من عدم نباته . ويُنبت شعر الحاجبين غلياً ثم طلياً . ويُسكّن وجع الأذن قطراً . ويُصلح السعال المزمن شرباً . ومع الشراب يُحلّل ورم الاثداء . اذا شُرب عقل البطن وأحدر البول المتقطر . انه يُخرج الجنين الميت والبشيمة تبخيراً. وينقّي الجروحات والقروح الخبيثة . يُستعمل في الأدهان والمراهم . مضرّته في الرأس المحرور . اصلاحه بالصندل وماء الورد .

قطع دم الجرح

يُؤخذ روث حمار طريّ ، يُسخّن على النار ، ويوضع على الجرح . او ذرّ الكبريت على الجرح ، فانه يقطع دمه . او دقّ القوّيسة ، ورشّ منها فينقطع الدم ويشفى الجرح .

وجع الجنب والأضلاع

يُؤخذ فيجم ويُغلى جيداً . ثم تبلّ به خرقة وتوضع على الجنب والأضلاع .

ضيقة النفس

خذ سلاطعين نهريّات واطلها بالعجين واشوها ثم اسحقها واجبلها بعسل منزوع الرغوة ، وكُل منها على الريق قدر لوزة .

دم الرعف

يُؤخذ كمّون ، يُدقّ ناعماً ويخلط بخلّ حادق (ثقيف) ويوضع على الجبهة والمنخرين .

الدود

خذ صفار بيضة مشويّة وكُله بلقمة من الخبز ، واصبر قدر عشر دقائق. ثم خذ درهمين من النفط مع (٨٥) خمسة دراهم عرق زهره ، واشرب : وصم الى قرب الظهر وافطر على الشوربا ، فتهرّ كل الدود .

السعال المزمن

تُؤخذ حشيشة العبيثران وتُغلى جيدّاً ، ويشرب منها دائماً . وهي تنفع لنزل الدم ايضاً .

العقصة

خذ الثوم واقشره ، ولا تدع يدك تلمسه في القشر : ودقّ مع جزء ملح ، وشبّط (وشطّب) مكان العقصة ، وضع الثوم مع الملح لزقة . لكن قبل ان تطول المدة ، اي زمان العقصة .

الكي للحيوان

الكيّ في رأس الذنب يشفي الحيوان من العمى .

الثور المخروم

اذا كان الفدّان (الثور) مخروماً ، اثقب أذنه في المخالف بمخرز ، اي في الشرش الذي في نصف الأذن ، وأدخل فيها عود صفصاف .

الجرح المعزر

اغل ورق العكوب واغسله كم مرة ، او الصق عليه ترتق (......).

وجع الصدر

يُؤخذ بزّاق عريان ويُوضع في اناء ، ويلقى عليه جزء من السكّر ، ثم يترك من عشيّة الى الصباح فيخرج منه مّاء ، فيشرب منه فنجان كم مرة على الريق .

الجريان الدائم والقوي جداً

يُؤخذ صفار بيض وسكّر وسمخ بطم وحليب ، ويحقن به ثلاث مرات .

وجع القلب

الكيّ على عصب ابهام الايدي ، ينفع وجع القلب .

وجع الاكتاف

الحجابه (الحجامة) في رأس بطّات الرجلين ، يفيد وجع الاكتاف ، ان يكون من عشرة وصاعداً في القمر . ويوم الاحد [٨٦] عشرة اجود ما يكون .

القيء

ان ربط يديك على الخنقات ، يمنع القيء عند اخذ الدواء .

الجرح

اضوِ الكبريت واطفئه بالزيت وادهن به .

ورق القز

افهم اليوم التاسع من شهر اذار في الحساب العتيق ، فاذا كان هذا اليوم غيماً او شتاء يكون رخص في ورق القزّ . وان كان شمساً يكون غلاء به . والاعتماد على آخر النهار اكثر .

قلت في الحساب العتيق : اي حذرًا من حدوث الكبيس . وهذا هو الصحيح .

وجع القلب

يُؤخذ حديد ويُحمى في النار جدًا ، ثم يطفئ بالماء جملة مرار حتى

يغلي ثلث الماء ، ويشرب منه دائماً مدة شهر او شهرين . ولا يشرب في هذه المدة ماء حاف (صرف) ابداً . وعند الابتداء بذلك يؤخذ نعنع جوّي ، يُدقّ ناعماً ويُعصر زومه ويُشرب منه فنجان على الريق ، ثمانية ايام .

صفة دهون

تُؤخذ اوقية خل حادق ، وخمسة دراهم صبر اشقر ، وتُوضع في قنّينة ، وتخضّ (وترجّ) كل يوم مرتين : اي بكرةً وعشية مدة خمسة عشر يوماً . ثم يُؤخذ منها اربع نقط في أوقية ماء بارد ، ويُدهن وجع الرأس والعينين الناتج عن دم .

وان اخذت قليلاً منه — اي من هذا المركّب — وقليلاً من الزيت ، وخفقته حتى يشتد ، ودهنت به اي نوع كان من الحبّ ، نفعه جداً . وهذه تسمى ماء بيضاء .

او تُؤخذ زوم رمّانة حامضة ، وبخور ناعم ، ويُغلى ويُوضع لزقة[٨٧] .

نزل الدم

ان اخذت حشيشة الجرح ، وهي التي ورقها كنخل البلح ، وعلى قفية (قفا) الورق يوجد غبرة كغبرة الدلب[١] . هذه اذا شلت (استخرجت) عرقها ومزجت منه اربع نقط بأوقية مـاء بارد ، وسقيت صاحب نزل الدم ، كل ساعتين ملعقة ، نفعه جداً ولو كان فاته الفصاد .

وان غليتها (بالماء) وشربت ماءها ، نفع لما ذكر . وتسمى : ماء حمره .

صفة خضاضة للتاني

يُؤخذ روح الحصالبان ، ويوضع في قنّينة ، يُضاف اليه جزء من كلس الحرّاق غير بايض ، وتسدّ القنّينة وتخضّ (وترجّ) كثيراً كل يوم جملة مرار ، مدة خمسة عشر يوماً ، ثم تصفّى بخرقة . فهذه القنّينة اذا خضخضتها ثم فتحتها تحت أنف من كان غايباً ، فاق حالا .

ضد السموم

اعلم ان الخمر : هو ضد السموم .

الدمعة

بوق البزّاق اذا أحرق وسُحق وكُحل به ، نفع من الدمعة .

---

١) ان هذه العشبة تنبت في الحيطان القديمة (الناشر) .

البردية المثلثة

الطويرينه ، اذا غُليت بالماء جيداً وشربت كم يوم ، اي كبَّاية بكرة ، وكباية عند النوم ، نفعت من البردية المثلثة .

الاستسقاء

من كان مستسقياً ، فليأكل لحم جدي المعزي الرضيع مسلوقاً ، مدة ثمانية ايام يبرأ .

وجع الركب وبرودة المعدة

اذا مزج الزيت بالعسل وأكل ، نفع من وجع الركب وبرودة المعدة .

او أنه يأكل من حبّ الكوكلان ، ثلاثين حبة صباحاً ، وعشرين حبة عند النوم ، مدة شهر يبرأ [٨٨] .

الامرأة العديمة التناسل

علامتها : انها تكون شحيحة العادة ، مصفرَّة اللون ، مبيضَّة اللسان ، وانها تحسّ بخدر في مخالع يديها ورجليها . وجسمها مفشكل (متغير) في اكثر اوقاتها .

العلاج : يؤخذ الزعتر الدقّ ، اي الذي ورقه رفيع ، يدقّ ناعماً ويُغلى بالعسل وتأخذ منه الامرأة بقدر اللوزة على الريق ، مدة خمسة عشر يوماً ، وتصوم خمس ساعات . ثم تشرب أوقية من ماء حشيشة القنطاريون المغليَّة جيداً ؛ فان جرت العادة كالعادة كان به الكفاية ، والا فليراجع ايضاً ثانياً وثالثاً . ومتى جرت فلتقطع ذلك ولو كان منذ الابتداء . وحينئذ يحصل المقصود وهو الحبل .

الولد الكثير البكاء

ان الولد الذي يكون كثير البكاء ، يسقى حليب دابة ، فلا يعود يبكي كثيراً .

الفصل الثالث عشر

حشيشة القنطاريون الكبير

فهذه تطلع كثيراً في حوران[١] ، في ضيعة يقال لها : اغبا (ܐܓܒܐ) ويسمّونها هناك عرق الاخنيخ . ويستعملونها للجرح كثيراً .

علامتها : انها مرة جداً . وورقها يشبه ورق الجوز بالشكل ليس بالكبر .

١) يوجد منها في اكثر الاراضي بجبل لبنان ومعظم الناس يعرفونها (الناشر)

وهو مفرّض نظير المنشار. علوّها عن الارض من الذراع الى الذراعين . زهرها كزهر العنبر . شرشها صلب ثقيل اصلي لا يموت في الارض .

فهذه لها مفعول عجيب للجرح ، حتى انه مهما كان قوياً ولو [٨٩] كان طوله ذراعاً ؛ فاذا سُحقت ووُضعت او رُشّت عليه يلحم حالا .

وقيل انها اذا طُبخت مع اللحم المقطَّع ووضعت على الجرح التحم لوقته.

واذا غليت (بالماء) جيداً وشربت منها الامرأة العديمة التناسلية بل والعديمة مكان التناسل ثلاثة دراهم على الريق مدة ثلاثين يوماً ، حصلت على الغاية وتكوّن لها مكان الولادة .

قيل

ان الحاجة التي يكون عليها صليب ، فلا تقدر الجن ان تمسها . ومثل ذلك ذكر اسم الله ومريم العذراء .ء

الامرأة التي لا تلد

تأخذ نشادر وتتبخر به ، فان اتاها البول حالا فتكون قابلة العلاج والحبل، وان لم يأتها البول حالا فلا رجاء بعلاجها ابداً .

عقصة الحية

شرش لسان الثور ، الذي زهره ازرق ، اذا رُضّ ووُضع لزقةً على مكان عقصة الحية ، جذب اليه السمّ نظير حجر السم .

وان أكل المعقوص حشيشة صبّ الزيت ، نفعته .

وان رُض شرش لسان الثور وغلي جيداً (بالماء) وعُقد شراباً مع السكر ، كان مروقا للدم جداً ، ولو فسد الدم من عدم الفصد .

صفة عمله : يرضّ الشرش بعد ان يُغسل جيداً ويُغلى جيداً ويُصفى ويوضع له مقدار من السكر حتى يصير حلواً نظير قناني الكزبرة . ثم يغلى قليلاً حتى ينحلّ السكر جيداً . ثم يرفع ويستعمل منه [٩٠] استعمالا متصلاً . اي كل ساعة فنجاناً منه ؛ ومن الماء البارد فنجانين ، ويمزج ويشرب نهاراً وليلاً . فهو عجيب في النفع .

حكمة (معالجة) مصرية

اولا يجب ان يقلّل الاكل للمريض جداً . ثانياً يُسقى شراب الخلّ والسكر ، نهاراً وليلاً ، كل ساعة فنجان ، كم يوم ، اي حتى يُشفى .

وقيل ان هذا العلاج يفيد جميع الامراض .

لكشف المعدن

يُغلى المعدن اولا في الرمل ؛ ثم يُغسل ويُرش عليه نشادر ويُوضع بازاء النار حتى ينشف فيظهر لونه . اعني اذا كان نحاساً فيعتم ويجنزر . واذا كان ذهباً فلا .

عقم الامرأة

اذا شعرت الامرأة بنقير وورم في ثدييها وعرّق في جسمها ليلتين او ثلاثاً ، قرب موعد العادة ، فلا تكون عقيماً .

هياج الكلاب

قيل : ان لسان الكلب الاسود ، اذا مُلّح وجفّف ، فمن حمله لا تهوش عليه الكلاب ابداً .

السمك المقلي

ان السمك المقلي اذا بقي مغموراً بالزيت ، ظل سالماً من الفساد زماناً طويلاً .

حجر الكلب

ان الكلب الذي يهوش اذا ضربته بحجر اسرع الى عضه . يُؤخذ هذا الحجر الذي يعضه ويُغسل بماء ويسقى للبعض (كذا) .

الورم البارد

يدق ورق العبعب المحمّر الحبّ مع الملح ويضمّد به على الورم البارد . ومثله حبة الناضج مع سمن البقر .

حرقة القلب

قيل : ان أكل البصل المشوي ملتوتاً بالرماد [٩١] ، يُزيل الحرقة عن القلب .

المغص ووجع البطن

ان البخور واليانسون اذا دقّ ناعماً وأخذ منه ثلاثة دراهم على الريق ، سبعة ايام ، نفع المغص ووجع البطن .

لفجر الدمامل

يُؤخذ ثوم وصفار بيضة وملح وقليل من طحين القمح ، يُدقّ ويوضع لزقة .

عقصة العقرب والزلاقط والنحل والدبور

ان قطعت على عقصة العقرب والزلاقط والنحل والدبور ، في نوع من البولاد ، اي آلة جارحة كسكين وغيرها ، مَنَع الوجع والورم .

راحة المريض

قيل : اذا جلست الامرأة حذاء الرجل المريض ، واخذت تلوّح في يدها فوق رأسه ساعة ، فاذا كان رجاء بصحته فيرتاح لوقته ولو قليلاً . وان لم يرتح فلا رجاء بحياته .

للسموم والكلف والنمش

قيل : ان نخاع الأرنب يفيد من أكل او شرب شيئاً مسموماً ، أكلاً .
وان دم الارنب يفيد الكلف والنمش دهناً .

نبات اسنان واضراس الطفل

قيل : انه اذا أُخذ سنّ توم مقشور ، وعُلّق في رقبة الطفل الذي تحصل له اضامة من طلوع اسنانه او اضراسه ، فلا تعود تحصل له اضامة .

للمغص

قيل : ان من كانَ حاصلاً له مغص ، اذا شرب كباية خمر ممزوجة بملعقة زيت نفعته .
واذا كان مغص دائم ، يُكوى خلف أذنيه الاثنتين مكان كيّ القرق .

للدود

يُؤخذ قصعين ، يُغلى جيداً (بالماء) ويُشرب منه قدر أوقيتين على الريق ، ثلاثة ايام ، ويصوم [٩٢] الى الظهر ، فيهرّ (فينزل) كل الدود الذي في البطن . مجرّب .

البردية

قيل ان الرجلة الحمقاء ، هي العلقم ، اي الحنظل . وانه اذا دقّ وبخر به ، نفع من كل انواع البردية ، وذلك في بداءة الدور .
وقيل ايضاً : انّ الرجلة الحمقا ، هي بزر الفرفحين ، او حشيشة البحر .

لاصفرار الوجه

يُؤخذ درهمان كندس ، ومثله قرنفل ، ومثله طباشير هندي ، ومثله توته زرقه ، وقدر الجميع كحل الحجر . يدق الجميع ناعماً ويُؤخذ منه كل يوم اربع نشقات في الأنف .

لريح السدد ولكل نوع من وجع القلب

يؤخذ قشر ليمون بردقان دون لبّه ، ويغلى بخمر اصفر الى ان يضحي نظير اللبن الرائب ، ويوضع في قنّينة ، ويؤخذ منه لعقة عند اللزوم .

الفصل الرابع عشر

لمحو الحبر عن الورق

يؤخذ شب ابيض ، ومقل ازرق ، وكبريت اصفر ، اجزاء سواء . ويسحق ويجبل بخلّ خمر ، ثم يعمل مثل البلّوطة ويجفّف ويحك به .

لجبار الصيني المكسور

يؤخذ خمسة دراهم اسبيداج ، ودرهمان جبسين ، ثم يعجن في غري (غراء) السندروس ويلصق به .

الانقطاع عن الأكل والشرب

قيل : انك اذا اخذت من الرجلة الحمقا وسحقتها وغمرتها بخل خمر وتركتها [٩٣] الى ان تجفّ . ثم صنعت بها هكذا ثانياً وثالثاً . اخيراً اسحقها وخذ منها درهماً : فانك تبقى خمسين او ستين يوما لا تأكل ولاتشرب ، ولا تشتهي نفسك من ذلك ابداً .

لكل وجع

يؤخذ سكر ويعجن في زلال البيض ، ويؤخذ منه كل يوم مقدار لوزة على الريق .

صفة حقنة لريح السدد

يؤخذ خبّيزة ، وحبق الدجاج (عشبة) وتغلى . ثم يؤخذ مقدار الجوزة من قرمية رفغان ، تدق وتوضع في خرقة وتستحلب بها ، ثم يحقن فيها .

او اكو في قرص الرأس حين وجود العلّة .

او سخّن نصف أوقية من السمن واشرب . وهذا مجرّب .

رمد الأطفال

قيل : انه اذا أذيب الصبر الاشقر بماء وقطر منه في عيني الطفل عند ولادته حالا . او أقلّه عند ابتداء رمده للمرّة الأولى ، فلا يعود يرمد ابداً كل مدة حياته .

مسهل البلغم

قيل : إنه اذا اخذت حنظلة فقوّرتها وأخرجت قدر نصف لبّها وبزرها ، وملأتها حليباً من عشيّة الى الصباح وشربت ما فيها ، يكون مسهلاً للبلغم .

لزقة لوجع الرأس عن برودة

يُؤخذ نعنع الماء ، يدقّ ويضاف اليه جزء يسير من الخلّ ويوضع لزقة على الصداغ .

خسم الدوَر

قيل : ان من اخذ خسماً للدور ، يجب عليه ان يمتنع عن اكل اي نوع [٩٤] كان من الحامض والحلو مدة خمسة وعشرين يوماً ، وان خالف يراجعه الدور .

للحب او الجرح

تُؤخذ حشيشة الشمرمر ، تُدقّ وتوضع لزقةً مرّةً . او تيبّس في الظل ثم تسحق ناعماً وتجبل بزوم (بعصير) البصل وتمدّ على خرقة وتوضع لزقةً ، او رشاً بعد سحقها الناعم ، على الجرح او الحبّ او الاورام .

للحرقة

يُؤخذ عشرة دراهم خولنجان ، يُسحق ويُعجن بعسل ويُؤكل منه قدر لوزة على الريق ، كم يوم .

للربو اي القرحة

تُؤخذ أوقية حليب ، وقدرها من زوم عصارة القرّة الحلوة لا الحرة ، ويفتر على النار ويشرب منه على الريق قدر ثلاثين يوماً .

الحكاك الذي في المعادي وحولها

يُؤخذ من زوم عصارة القرّيزة ، ويُغسل به المحل ، ثم يرشّ فوقه الكبريت الناعم ، كم مرة فيبرأ .

او يمزج الخلّ بالماء البارد وحراقة الملح ، ويُواظب على الغسل به .

لدود البطن

تؤخذ حفنة حمص أسود ، ويُنقع بالخل الحادق ثلاثة ايام ، ويصوم صاحبه الى الظهر ، فيهرّ (فينزل) الدود وأصل الدود ايضاً .

للجريان

يُؤخذ حصى صُلب ، فيُحمّص حتى يحمى جداً ، في محمصة البن او في إناء فخّار غير مخشّن ، ويُطرح في أوقية من الحليب ويُشرب .

ومثله اذا [٩٥] حمّصت حب الشعير وسحقته وجبلت منه بالخمر مقدار الجوزة مرّتين ، وأطعمت صاحب الجربان ، ثلاثة ايام ، كل يوم ثلاث مرات

وان اخذت شرش زعرور ، وشرش خرّوب ، وشرش سنديان ، وغسلتها ثم رضضتها وغليتها برطلين من الماء حتى يصمد نصف رطل ، وسقيت منها صاحب الجربان بكرةً والظهر وعشيّة ، اي كل مرة أوقية ، قطع الجربان .

الدملة

يُؤخذ زبيب وملح ، يُدقّ ويجبل بعسل ، ويُوضع على الطلوعة او الدملة فتفتح .

الفكش

احم حجر شحّار جدّا ، واطفئه بالماء الحارّ جدّا وهبّل به الفكش فيشفى .

حجر الزبرجد

وهو نوع من الجوهر . فانه يجلو البصر اذا أدمن النظر اليه ، ثم يوجد في عش الخطاطيف حصاة (حصى) بيض وحمر ، اذا عُلّقت احداهما على المصروع برأته .

ويُوجد ايضاً في العشّ المذكور خرزة صفراء ، تُعلّق على من به ريقان فيبرأ .

وحيث ان هذه لا توجد دائماً ، اعلم انه يؤخذ زعفران ويُغلى ويسبغ (ويصبغ) به عيون ورؤوس الفراخ وحينئذ تراها أمها وتذهب فتأتيها بهـذه الخرزة .

حجر السبخ

وأجوده الهندي . وهو نوع من الجوهر . وهو حجر أسود شديد السواد ليس فيه شفوفية (شفوفة) سوى انه يري الوجه كالمرآة . وهو برّاق رخو شديد الرخاوة [٩٦] ينكسر سريعاً .

اذا أصيب الانسان في بصره من قبل الكبر (التقدم في السن) او بسبب علة حادثة فعسر عليه ان ينظر الى شيء حتى يرى خيالا كالغمام اوكالدبّان او كالضباب . وكلّ هذا يدلّ على ابتداء نزول الماء في العين . فاذا اتخذ من السبخ كالمرآة وأدمن النظر اليه ، أمسك البصر وقوّاه وشدّه ودفع عنه العلّة النازلة .

وان صنع منه قلب خاتم وأدمن النظر اليه ، فانه يحدّ البصر .

الورم

يتبخّر بزبل ربيعي (ربيعي) او اقلّه بشقف (قطع) طباق زبل جملة مرار فيبرأ .

التيبيس

يؤخذ طحين شعير ، يُعجن ويقرّص قرصاً وتحرق حتى تفحم كلياً ، وتسحق ناعماً وتجبل بزيت مع قليل من الملح ، ويدهن بها العضو المتيبّس بعد ان يشبّط . واينما نقل التيبيس يتبعه بذلك .

ضعف البصر ورقته

قيل : انه يوجد في مرائر بعض البقر شيء كالحجارة . تؤخذ وتذاب بالماء ويُسعّط به ، اي ينشق بانفه من كان ضعيف البصر رقيقه ، ومن يخشى عليه من اجتماع الماء في عينيه . ويُسعّط به ايضاً من يصيبه الصرع الشديد . وكمية التسعيط قدر عدسة مع ماء السلق المعصور من اصله ، فينفعه ان شاء الله .

نصوب التوت

قيل : ان الارض التي تمولش ولا تعيش فيها نصوب التوت (٩٧) ازرع فيها الخروع في اول الريّ ، وفي تلك السنة انصبها توتاً .

او احرق بلانة في بيش النصبة وانصبها .

الدود

تؤخذ خمسة دراهم صبر سقطري ، وخمسة دراهم بزر رشاد ، يُدقّ ويجبل بعسل ويؤكل على الريق ، ويصوم صاحبه الى الظهر .

لوجع الركب

يؤخذ بعر معزي ، وشحم حنظل وملح ، ويُدقّ ويجبل بخل ويوضع لزقة .

النسيان

قيل : ان من يحمل عين الهدهد يقلّ نسيانه .

الصفراء ورطوبة البدن

قيل : انك اذا اخذت من الخلّ والدبس ، اجزاء سواء ، وغليتها وانت تحرّكها في باقة نعنع برّي حتى يهتري النعنع وتشتد الأجزاء ، واخذت منها كل يوم قدر الجوزة مرتين ، نفعت من الصفراء وصفّت البدن من الرطوبة .

وجع الضرس

قيل : ان الافتيمون اذا شرب في الغليون نظير التتن (التبغ) نفع وجع الضرس من اي نوع كان حتى السوس ايضاً .

الشري والورم

قيل : ان شلّوف الخمّيض، اذا بخّرت به الشري نفعه ، ثم ومثله شوك الشنداب مع زبل ربعي (ربيعي) . وهو ينفع الورم ايضاً .

لدغة الحية والسموم

ان دبس العنب اذا سقيت منه قدر أوقيتين ، من أكل او شرب شيئاً ساماً ، او خطرت عليه عقصة الحية ، نفعه حقاً ، مجرّب . وهو يفيد كل عقصة مهما كانت .

الطلوعة

قيل : ان الضفدع اذا دقّ ووُضع على الطلوعة ، تفتح [٩٨] .

عدم نبات الشعر

قيل : اذا سحقت الفول الاخضر ، وأخذت زومه ودهنت به اي مكان كان ، فلا يعود ينبت فيه شعر .

الاستسقاء

قيل : اذا مشى المستسقي على الرمل السخن في تموز قدر ربع ساعة حافياً ، يبرأ .

القرحة ولزة الصدر

قيل : ان الكيّ على رأس عصفورة القلب ، ينفع كل قرحة ، ولزّة الصدر ايضاً .

الفصل الخامس عشر

طنين الأذن

قيل : ان الأذن التي تصوي ، يُقطر بها من زوم قرمة رفغان ، كلّ سبعة ايام .

الفراشة في الحلق

قيل : انك اذا اخذت زوم قشر ثمر الجوز الاخضر مع الخلّ وبللت به خرقة ووضعتها على الفراشة التي في الزلاعيم كم مرة ، تبرأ .

الثالول والدمامل

قيل : انك اذا كويت الثالول والدمامل ، في قشة زرع اول طلوعها ، نفع .

المفتوق

قيل : ان المفتوق اذا اكتوى في جورة باهم يده على المخلع في المخالف كياً بالحديد : نفعه .

المتروق

يُكوى فوق أذنه في المخالف . وان دهن من روح المنستر شُفي : واذا وُضع في رأسه درهم جندبدنستر ، شُفل القرق والريح : ويجوز ان يُوضع منه درهم في معجون الكوكلان .

البردية المثلثة

قيل : ان من غلي شرش ابو سفايج ، وداوم الشرب منه ، نفع البردية المثلثة . ومثله شرش الرمان الحامض اذا رض وغلي وشرب .

او اغل او انقع عود الطرفه (شجرة الطرفاء) بماء واشرب .

او اغل قشر شجر الصفصاف : واشرب عند بداءة الدور ثلاث مرات .

وان لم يُفد ، تُؤخذ شربة منقّي : وبعدها اصنع ما ذكر .

حراقة (حريق) الشخاخة

اكوِ في شقفة دحه على القضيب تحت المعاري[٩٩] ، اي بين قدح الخاتم والمعاري .

صيرورة النحاس ذهباً

قيل : انه يُوجد عشبة ، ورقها وشرشها نظير النجل ، واذا قطفت منها غصناً يخرج منه زوم احمر . فهذه اذا وُضع زومها على النحاس المذاب صار ذهباً .

تنقية القمح من التراب

قيل : انك اذا وضعت ملحاً مع القمح وطحنته ، فيعرب (يجمع) التراب كله في حلقوم الحجر .

الخزازة الدموية

يُؤخذ بارود وسراس : اجزاء سواء ، يُمرهم بالخل ، ويُدهن به .

او ان تحفّ الخزازة برقعة عباءة جدّا ، ثم تُدهن بزوم سليق سلق . او بزوم ورق جوز .

البق

قيل : اذا اخذت مرارة معزي ، وقدرها زيتاً ، ودهنت به المحل ، فيرحل عنه البق .

علم استخراج الملح

يُؤخذ من الشوكة المباركة ، تحرق ويُغلى رمادها حتى يفنى ثلث الماء . ثم يُرفع ويُترك حتى يروق الماء . ثم يُصفّر الرائق ويُغلى ثانياً على نار هادئة حتى يصمد منه القليل. ثم يُرفع ويُترك في الشمس والهواء حتى يجمد . فيُؤخذ ويُسحق ويكون اذا وضعت منه جزءاً يسيراً ، اي مقدار نصف درهم في جرة ماء فيبرد جداً . وقس على ذلك كل استخراج ملح .

عمل الماء الذي يأكل الحديد

تُؤخذ شبة زرقه ، تُسحق ناعماً وتُذاب في خل حادق وجزء من الملح . وان اردت ان تكتب ، اطل الحديد بالشمع واحفر به الحرف الذي تريده واملاه من هذا الماء [١٠٠] نصف يوم ، واحفر مكانه .

الحب

يُوخذ عنزروت . راتنج . رصاص محرق . مرسنك فضي . شبة بيضاء . توتة زرقاء . اجزاء سواء . ثم يُؤخذ مقدار من ورق الريحان الاخضر . يُرض ويُغلى في مثله زيت عتيق ، وثلاثة امثاله ماء . ويُغلى حتى يفنى الماء . ثم يُعصر ويُرمى الثفل ، وتُؤخذ العصارة وتُذاب الاجزاء بها حتى تصير كاللبن ، ويُدهن بها اي نوع كان من الحب حتى الجرح المعزّر . وهو عجيب في النفع . واذا نشّف يضاف اليه زيت ويخفق.

طرد الحيات

قيل : ان لقش الارز ، اذا وُضع في مكان ما ، فلا يعود يوجد هناك حيّات .

الدوخة في سفر البحر

قيل : ان الذي يخاف ان يصفرن (يدوخ) من نزول الماء ، او من سفر البحر او النهر ، فليشرب فنجان حامض ليمون ، او فنجان عرق ، يُوقى من ذلك .

البواسير

قيل : ان المبصور اذا تحمّل في سمخ بصلة مشوية سخنة ، فتح البوصار حالاً .

الورم

قيل : ان المُورّم ، اذا غلي سلاطعين القصب الفارسي ، وغسل بهـا الورم نفعه .

ومثله اذا قلي ضفدع الماء بزيت ودهن به .
ومثله اذا غلي القزّيزة ودهن بها الورم .

البثور والحبوب

قيل : ان رماد ورق البلغصون ، اذا يُبّس في الظل ، وسُحق ومُزِج بالزيت . ودُهن به البثور والحبوب نفعها .

الدود

قيل : انك اذا اخذت الصابون بدون تخشين ، وحففت منه قدر ما تسع البرشانة الكاملة التي [١٠١] ينبغي ان ترطّبها قليلاً وتجعل الصابون في وسطها ، وتأخذها على الريق وتصوم الى الظهر ، فتبرّ (فتُنزل) الدود كله في اليوم الثاني.

الصفراء

اعلم ان الصفراء ، تقسم الى قسمين : الواحد لطيف ، وهو نظير الزيت يصعد ويطفو فوق المعدة ، ولا يخرج بالشربة من اسفل ، بل بالقيْ من اعلى ، اي من الفم . والآخر كثيف ، وينحدر الى اسفل ويكون اخراجه بواسطة الشربات .

غياب الثريا

قيل : ان الثريّا تغيب في البحر في اول يوم من كانون الاول مع الضوء، وكما يكون غيابها في ذلك اليوم اي ان كان شتاء وصحوًا فهكذا يكون لحدّ الواحد والعشرين من الشهر المذكور .

معرفة محل القز

قيل : ان اردت ان تعرف محل القزّ واقبالها ارصد اليوم الحادي والعشرين من شهر اذار ، حساباً غربياً ، فالذي يكون فيه نقلة الشمس من برجها . اذا كان هذا النهار معتدل الطبع اي لا برد ولا شوب ، تكون القزّ جيدة في تلك السنة والورق غالياً . واى كان شلهوبة او شتاء فالقز رديئة والورق رخيصاً . وهذا يكون من اول النهار الى غياب الشمس وبحسب بالتدريج من ساحل البحر وصاعدًا . اي ان كان الاعتدال عند العصر تكون قزّ السواحل جيدة . وان كان الاعتدال عند الظهر تكون قزّ الوسوط [١٠٢] جيدة . وان كان الاعتدال عند الصباح تكون قز الجرد طيبة والورق تابعاً لها .

معرفة الشتاء من الشهر

قيل ان اليوم السابع والعشرين من كل شهر قمري ، اذا كان اول هذا اليوم شتاء ، يكون اول الشهر الثاني شتاءً نظيره. ويجب ان يبتدئ نصف ليله

وصاعداً . فيخصّ كل يوم ثلاثة ارباع الساعة وثلاث دقائق ؛ فكما يكون بها يكون في يوم الشهر المذكور .

مرض الطحال

قيل ان المطحول اذا رضّ الطرفا الخضرا ووضعها في الماء البارد وداوم الشرب منها وحدها فقط مدة اربعين يوماً يشفى[1] .

عشبة اليبروح : بيض الجن

قيل ان من أكل من الصنم اليبروحي او من بيضه الذي يسمى بيض الجنّ وحصل له جنون او ضرر آخر، فليشرب فنجان حامض ليمون يشفى حالا . مجرّب .

الفصل السادس عشر

قبض المعدة

قيل : ان قبض المعدة لا سيما في حال الصحة ، هو دليل السودا؛ . شرش ابو سفايج ضد السوداء أكلاً او شرباً .

شربة الدود

يُؤخذ ثلاثة دراهم تربل مجوّف ، وثلاثة دراهم حبّ خريساني ، يدق ويجبل في دبس ويُلعق منه على الريق ويُصام الى الظهر، فيهرّ (فيسقط) الدود كله . مجرب .

الجريان

يؤخذ هليون العلّيق ؛ يُقطع بالحديد لا بالظفر ؛ وقشر رمان يُغلى ويُشرب منه كم يوم حتى تعتدل المعدة ، وليحذر من الزيادة[١٠٣] هرباً من القبض .

جريان الدم

يُؤخذ اوقية حليب وصفار بيضة تخفق وتشرب على الريق .

الورم على القلب

يؤخذ حشيشة القزاز (الزجاج) وتُغلى برطل ماء حتى يصمد اوقيتان . ثم يُؤخذ الماء ويضاف اليه نصف أوقية سمن ويُغلى ثانياً الى ان يفنى الماء ثم يُدهن منه .

---

١) في طرف ساحة كاتدرائية مار يوحنا مرقس في جبيل شجرة طرفاء كبيرة (الناشر) .

حريق البول

إكو في الرجل فوق الكاحل ثلاثة قراريط من الميل الجوّاني على ذاك العرق لانه يوجد هناك نبض إكو عليه فيشفي المريض . مجرب .

الجرح

اذا كويت على الجرح يقطع الدم حالا .
واذا رششت كبريتاً على الجرح يقطع الدم ولا يدغل .

الريح

اذا اخذت كافوراً وزيتاً وغليت قليلاً ودهنت مكان الريح نفع .

لقطع دور البردية

اذا أخذت ثوماً وملحاً ودققت ووضعت على اليد مكان كيّ العصافير وقباله في الميل الثاني مما يلي الكف وعصبت عليه عصبة شديدة وتركتها اثني عشر ساعة قطع دور البردية ؛ وذلك عند بداءة الدور .

صفة دهون للريح السوداوي

يُؤخذ كافور وحسن يوسف (عشبة) اجزاء سواء . يُدقّ ويُغلى قليلاً . في زيت عتيق ، ويُدهن ويُفرك به عدة مرات . مجرّب .

للصرع

إكو على عصب باهم اليد الجوّاني حين وجود الصرع [١٠٤] .

للطحال

اذا أكل رأس توم مشوي وشرب بعده نصف اوقية خل حادق (ثقيف) على الريق مدة بضعة ايام نفع وجع الطحال .

للثقل والتعني

اذا أخذ سبع حبات فلفل ابيض ؛ ومن جوزة الطيب قدر نصفها ودقّ ناعماً وخُنق في سارج ولُفّ في قطنة وعمل تحميلة مرة او مرتين او ثلاثاً نفع الثقل والتعني .

ثم تُغلى قزّيزة ويُغسل بها البطن بضع مرات . وكلّ هذا يصير مساء . ثم يرقد المريض ويتغطّى فيعرق فيخرج كل ما فيه من العلّة . وليفعل ذلك ثلاث او اربع مرات . ويدهن الجبهة في الخل ويُسقى نصف اوقية ماء ورد . او يؤخذ خرقة مبلّلة بخل وتوضع على السرّة وكلما نشفت تبلّ وتعاد .

للحب

يُؤخذ ثلاثة دراهم شبّة بيضاء وتُذاب بماء فاتر وتُغسل بها الحبة مدة ثلاثة ايام ؛ كل يوم مرة .

او يُؤخذ من زهرة النيل وتُدهن بها الحبوب كم مرة.

للحب

يُؤخذ خل حادق (ثقيف) يُمزج بملح ويُفتَّر على النار وتُبلّ به خرق وتُوضع . فهو ينفع الرضّة والاوهام والحمره والحبوب والزريقات؛ ولعقصة الدبور والعقرب واوجاع العين الدموية .

لشح العادة

كزبرة البير . اذا غُليت وشربت من شح العادة وضعفه .

للتسميط

اذا رغيت الصابون على باقة طيّون رخص (غضّ) وغسلت به مكان التسميط شفي .

لداء المفاصل

يُؤخذ باقة قصعين توضع في طنجرة مبيّضة مع جزء من الماء وتُطيّن جيداً وتُغلى جيداً ثم ترفع عن النار وتترك الى ان تبرد قبل فتحها . ثم يُؤخذ اوقية من هذا الماء ويذاب به نصف[١٠٥] اوقية عسل بلدي ؛ ويشرب منها المريض ويرقد ويتغطّى فيحصّ بوهج فان عرق شفي وان لم يعرق فليراجع ثانياً وثالثاً .

من اعتقبه فضلات مرض عن نزل دم

يُؤخذ باقة من حشيشة الترنجان وتُغلى جيداً ويشرب المريض قدر ثلاث واق ويصبر قليلاً ثم يشرب اربع واق مصل كم مرة .

لسوس الاضراس

يُؤخذ ثوم وملح وخلّ ويدق ويتمضمض به ينفع سوس الاضراس .

وان غلي ورق ريحان بخمر اصفر وتمضمض به نفع وجع الاسنان .

لقطع الدورية

يُؤخذ كباية خمر مفتّر وتشرب في ابتداء الدور. او يشرب ماء حشيشة التين اي ورقها دون غلي. واذا كويت على شرش الرأس في الزند عند ابتداء دور المثلّثة ذهب لوقته .

للحرق

يؤخذ شعير ويحمّص ويسحق ناعماً ويجبل بخل ويُطلى به على الحرق .

للدود

يُؤخذ قشر شرش الرمان الحلو والتوت والجوز ، يُغسل ويُغلى حتى يعقد ويشرب أوقيتين[١] على الريق ويصوم الى الظهر فيهرّ (فيسقط) كل الدود .

للحر والخافور

يُؤخذ قشر رمان حلو وعفص وشبّة بيضاء وزهرة سمّاق ولبلوب زيتون اجزاء سواء . تُدقّ ناعماً وترش فانها تنفع الحرّ والخافور .

واذا دقّ معجن الزلحف ووضع في غليون ومُلئ الفم من دخانه نفع الخافور .

وجع الظهر

يُؤخذ قشر شرش القبّار يُغسل ويحبس في [١٠٦] الشمس ثم يسحق ناعماً ويجبل بعسل ويؤكل منه مقدار لوزة على الريق مدة سبعة ايام ينفع وجع الظهر .

للجرح

زبل الحمام يرش على الجرح يبرأ .

للورم

زهر الياسمين اذا أكل على الريق نفع الورم .

للريح

يُؤخذ كمّون وملح اجزاء سواء . يدقّ ناعماً ويشرب بخمر ينفع الريح في البطن .

للبوصار

يأخذ مرارة خنزير ويدخّن بها تحته اي تحت البوصار .

للبحة

يُؤخذ بزر رمان حلو ويخلط بسكر ويؤكل على الريق ينفع بحّة الصوت .

للفتاق والريح

يؤخذ عنب الحيّة وخزّ الموية(الماء) وطحين شعير وملح ناعم ويُغمر بزيت ويُعمل لزقة على مكان الفتاق او الريح .

---

١) الاوقية الطبية ثمانية دراهم (الناشر) .

للدود

يؤخذ فنجان من زوم ورق الدرّاق الاخضر ويُشرب على الريق يهرّ الدود .

وجع الركب

يُؤخذ بزر خردل يُحمّص ويُدقّ ويُغلى بماء ويمد على خرقة ويوضع لزقة على الركب .

وجع الاسنان

يُؤخذ قوّيسة تدقّ ناعماً وتجبل بخمر ويفرك بها الاسنان المخلخلة .

واذا كويت على الضرس المسوّس حذاء النبرة افاد السوس . وان وضعت عليه الافيون قدر سلعتين سكن أله وفتر[١٠٧] .

اصفرار الوجه

يُؤخذ راوند ويذاب بخمر اصفر ويُدهن به الوجه الاصفر .

الحصة في الشعر

يُؤخذ خميرة الرنجس ، تُدق وتُوضع بالزيت ويُدهن بها الشعر الذي فيه الحصّة .

لنزولات والحدورات والحبوب

يُؤخذ طحين فول او شعير ويخلط في زلال بيض ويوضع لزقة فانه ينفع النزولات والحدورات والخناق والحبوب .

لمن يقف الاكل على قلبه

اذا سُلق النعنع وشرب نفع لمن يقف الاكل على قلبه .

ليقة حبر ذهبية

يُؤخذ زنجفر يُنقع بخلّ سبعة ايام ثم يُخلط بصمغ عربي محلول ويُطرح عليه عدة مرابر متنوعة بقدر الامكان من طير وحيوان فانه يبقي بلون الذهب .

فتيلة تري الحاضرين في المكان بلا رؤوس في الليل

يُؤخذ كبريت اصفر وزبد البحر ويسحق ويُغلى بزيت ويُسرج به المصباح فترى الحاضرين في المكان بلا رؤوس .

حمل النار على الكف

يُؤخذ زرنيخ اصفر وشب يماني ؛ اسحق ولتّ في زلال البيض والطخ به كفّك واحمل عليه النار فلا تحترق .

الفصل السابع عشر

للطنين والدوي في الآذان

يوءخذ خربق ابيض درهم ونصف . قطران نصف درهم . جندبستر درهم ونصف يسحق ناعماً ويخلط بخلّ ويطلى به فتيلة وتوضع في الأذن مدة خمسة ايام ، كل يوم مرتين فانه ينفع الطنين[١٠٨] والدويّ في الآذان .

قطرة

يُوءخذ درهمان من روح القويّسة ، وعشر نقط من روح المنستر ويُقطر منه في الأذن تبرأ من الطرش ويفتح السدد .

اصفرار الاسنان

يُوءخذ ملح وفحم وسكر اجزاء سواء . يسحق ويجبل بعسل ويُفرك بــه الاسنان المصفرة ، فانه يصفّيها ويُطيّب نفس الفم .

للبخر في الفم

وهو رائحة نتنة تخرج عند التكلم وسببه رطوبة فاسدة محتقنة في فم المعدة . يُوءخذ ثوم وقرنفل وفلفل ، يُدقّ ويعجن بعسل ويوءخذ منه قدر لوزة على الريق ؛ وليداوم على ذلك حتى يشفى .

لتصلب الحديد والبولاد

اذا سُقي الحديد او البولاد بخل وملح بارود ، او بزوم القرّيص فانه يتصلب جداً .

تحويل اللوز المر الى حلو

ان اشجار اللوز المر اذا ثقبتها في كعبها صارت حلوةً .

للجرح المعزر والحب والاوهام ايضاً

اغل حب سمّاق بخل واغسل به ، ثم رش فوقه شبة بيضاء ناعمة ، فهو نافع للجرح المعزّر والحبّ والاوهام .

لمغص الامرأة عقب الولادة

حشيشة الافستين اذا شربت المرأة مغليها نفعت من المغص الحاصل عقب الولادة ، اي بحال النفاس .

للجريان

عشبة دنبة الفرس اذا غُليت بالماء وشربت قطعت الجريان .

للحزازة

وسخ الماسورة (ماسورة الغليون) اذا دهنت به الحزازة بعد حفّها برقعة عباءة نفع . ومثله زوم قضيب التوت [١٠٩] المشتعل .

للحافور

اذا أخذ شبّة بيضاء وزرقاء اجزاء سواء وسحقت ناعمة جدًّا وأذيبت في خل وتمضمض بها نفعت الحافور .

للجرح والحرق والحب

صوف الارنب اذا وُضع على الحرق والجرح والحبّ نفع .

للرضة

اذا فُتّر عرق وزيت اجزاء سواء وفُرك به الرضّة او اذا لبّخ به نفعها ، فهو نظير القيقموني (كذا) .

للجرح ووجع الظهر والحرق والحب والقروح

عرق وماء بارد على الجرح ويفرك به الظهر تكرارًا فانه يشفي وجع الظهر عن الصفراء . وينفع الحرق والحرّ والحبّ والقروح . او ماء وملح . او ماء وخل . او عرق محض .

لفرط الصفراء وتنظيفها

يُؤخذ نعنع برّي يابس في الفيء ، دقّه ناعماً واجبله بعسل منزوع الرغوة وتناول منه مقدار الجوزة على الريق ، ومثله عند الرقاد ، فانه يفرط الصفراء وينظفها .

للسملة

يُؤخذ تينة يابسة يوضع فيها صمغ بخور وتُطمر في الرمغان (كذا) وتوضع على الزلاعيم وتُربط ، وقبل ان تبرد يُعمل غيرها .

كحل للبرودة في العين

الصبر الاشقر اذا فُتل ميل وكحّل به للبرودة نفع .

للظفر في العين

يؤخذ راسخت[١] يوضع في شقفة فخّار ويُوقد تحتها سواد بقر حتى يحمى

---

١) جاء عنه في كتاب طب قديم مطبوع : انه النحاس المحرق . وفي غيره : توتية حمراء . وجاء في تذكرة داود الضرير الانطاكي : ان اول من اصطنعه الاستاذ بقراط ثم فشا في الناس . وأجوده القطع الغليظة النبر بين حمرة وسواد . وأردؤه الابيض والكمد (الناشر) .

وعندئذ يرفع ويطفّى بزوم بصل سلموني ابيض ثلاث مرات . ومثله ببول طفل رضيع . ومثله ايضاً بماء ورد . وبعد ان ينشف ينسحق ويكحل به الظفر في العين .

لشح العادة وقطعها

يؤخذ ثلاث واق خل حادق ونصف رطل ملح يوضع في دست مع جرة ماء ويوقد له حتى يغلي جيداً . ثم [١١٠] يُرفع عن النار الى ان يهمد وتوضع به الرجلان وتُفرك فركاً منحدراً لا متصاعداً من الركب ونازل حتى يبرد الماء ، وليكن ذلك في وقت محيْ العادة ، فتجري والا فليراجع ثانياً وثالثاً .

لدور البردية

قيل ان أكل ثلاث او اربع حبات زيتون مكبوس بدون ماء ، في وقت نصف دور البردية فارقته بالكلية .

للنشيان

مَن وضع تحت لسانه حصوة ملح فلا يغبى وقت الفصد .

لقطع دم الرعاف

اذا رُبط رأس الغرمول انقطع دم الرعف .

لحريق البول

شرش البلان اذا غُسل وغُلي بالماء جيداً وشرب منه كباية على الريق كم مرة نفع حراقة الشخاخة ، وان لم يُفد يلزم الصفد .

للجلد

طحين الشعير اذا طُرف وطُلي به الجلد الدموي طاع ، والا فليراجع ثانياً وثالثاً .

لوجع الظهر وعرق النسا

اذا غليت عظام الغنم وحقنت بمغليها المصاب نفع من وجع الظهر وعرق النسا .

•

احدار كل وجع في الرأس من الأنف

حشيشة الشهرية ، اذا يُبست في الفيْ وسحقت ناعماً احدرت كل وجع في الرأس من الأنف .

علامتها : تطلع في اذار ونيسان ونوّار فقط . وابتداء طلوعها في اول يوم من كل شهر . ففي اليوم الاول تعمل ورقة واحدة ، وفي اليوم الثاني تصنع

ورقة ثانية وهلمّ جرًّا الى اليوم الخامس عشر من كل شهر . وحينئذ ينثر منها ورقة واحدة في اليوم السادس عشر وصاعدًا حتى لا[١١١] يبقى فيها ولا ورقة : لان عدد اوراقها خمسة عشر ورقة وعنه لا تزيد ابدًا . وهكذا تصنع في الشهر الثاني والثالث . واخيرًا تصنع زهرة صفراء وحولها ورق رفيع نظير الشوك اعكف الى جوًّا (الى الداخل) . وشكل ورقها مثل ورق الريحان . وقيل ان النمل يجتمع عليها . وربما كان طلوعها في السواحل .

لمنع القمل

يُؤخذ قصدير جزءان يُذاب ويوضع عليه الثلث زيبق فيصير ليّناً ويفيد لمنع القمل . وان كانت الاجزاء متساوية يبّس واسحق .

وجود أفعى

يُؤخذ كبريت عامودي يدقّ ناعماً ثم يوضع في اناء من حديد ويُغطى بفنجان صيني ويُطين حوله ويُغمر في الماء ويوقد تحته سراج زيت اربع وعشرين ساعة متصلة ، ثم يُرفع ويُؤخذ الذي يعلق على الفنجان ويذاب المثل ويلقى منه جزء ويُغطّى حالا بعد ان يحرّك قليلاً ثم يرفع عنه الغطاء فتراه افعى ، فاحذر جدًّا جدًّا ان تلمسها لا بيدك ولا بآلة ما لئلا تؤذيك[١] .

للورم

حشيشة الغافت اذا غُليت وغُسل بها الورم نفعت . ومثلها حشيشة العبعب الذي حبه احمر . اما الذي حبه اسود او اصفر فهو مضرّ . اذا أُخذ هذا الحبّ وغُلي بسمن البقر نفع الورم ايضاً .

الفصل الثامن عشر

عمل الزيبق الصناعي

يُذاب القصدير ويُلقى عليه قدره زيبق ويُرفع ويُسحق ثم يُدهن[١١٢] الزجاج في زيت نفط ويُرشّ فوقه الزيبق .

استخراج دهن الكبريت

يُؤخذ كبريت عامود ويذاب ويُسكب في سارج (سيرج) عشر مرات ، ومثله في الحليب ، ومثله في ملح البارود المذاب بالماء ، ومقدار الملح نصف الكبريت . ثم يؤخذ نطرون وكلس وقلي اجزاء سواء . يُدق ناعماً ويوضع عليه الماء حتى يروق ويصفو . ثم يُؤخذ الماء الصافي ويذاب الكبريت ايضـاً

١) اننا نقلنا هذه الوصفة بحرفيّها وان تكن خرافة (الناشر) .

ويسكب في هذا الماء ويترك زمناً ما فيخرج عنه دهنية على وجه الماء ؛ وهي تدخل في كل دواء وتنفع كل علة ؛ وتدخل في كل معدن . اعلم ان الكبريت ثلاثة انواع : اصفر ، وابيض ، وسكاوي كيماوي .

استخراج الزنجفر

يؤخذ زيبق وكبريت اجزاء سواء ؛ يوضع في قنينة وتسد جيداً وتوضع في ملال النار فتبخّر زنجفر(١) .

استخراج السلماني

اذا وضعت الملح والزيبق كما ذكر فيبخّر سلماني وهو يأكل الحديد والبولاد . واذا كُتب به حفر مكانه .

حشيشة الآدمية للبلغم والسوداء والصفراء والقيء

ورقها للجرح رشوشاً ، ومن اكل من ثمرها الناضج فلا يحس بتبضيع جسده . شرشها يخرج منه بنج . اربعة دراهم من زوم شرشها الذي يغلى حتى يدبّس ؛ لزقة على السرة ، فيكوى لاخراج البلغم والسوداء والصفراء ويقيّئ ايضاً شرباً وهو بنج . صنمها الذي هو نظير شخص الانسان منه ذكر ومنه انثى . فهذا كل عضو منه ينفع نظيره . مثلاً الرأس ، ينفع وجع الرأس ؛ واليد تنفع وجع اليد وهلمّ جرّاً . وينفع الحبوب المزمنة وقروح العين لبخاً[١١٣] ان الحمل منه يمنح الانتصار في الخصام على اي نوع كان . ثم انه يوقي حامليه من كل حيل الجن . اربعة دراهم من زومه تسهّل الصفراء والسوداء والبلغم ويقيّئ ايضاً . وهو من السمّيات . ونفعه لا يكون الا من تمام السبعين سنة وصاعداً . وليُعدّ زهره(٢) .

لوجع الرأس

يؤخذ نعنع بري يُدقّ ويُغلى قليلاً بجزء يسير من الخلّ ، ويمدّ على خرقة ويوضع لزقةً لوجع الرأس .

لعدم إعمال السم

قيل : ان من أكل من لحم النمر ولو خمسة دراهم فقط لا يعمل به سمّ ابداً كل حياته لا من سمّ الاعشاب ولا من غيرها .

ورأسه اذا دُفن في مكان ما تجتمع اليه كل النيران .

---

١) منه معدني يوجد بمعادن الذهب حتى قال بعضهم انه الكبريت الاحمر المثل به في العزة ، ومنه مصنوع وهو المتعارف المتداول الآن ، يجلب من نواحي السند وارمينية وجزائر البندقية وكان صحته في المذكورات أقوى . وأجوده الرزين الاحمر الرماني الذي لم تشم منه رائحة الكبريت (الناشر) .

٢) اننا لا ننصح بالأخذ منه الا بمشورة الطبيب (الناشر) .

حبر بلون الذهب

يؤخذ اوقية برادة حديد لا بولاد ، ونصف اوقية جنزارة . يجبل ويوضع في خل حادق سبعة ايام وحينئذ يغسل . ثم يوضع في بودقة مع درهم من برادة الفضة ودرهم من برادة النحاس ويحد عليه النار حتى يذوب . ثم ارفعه واسحقه ورش منه على الورق المكتوب اذا كان الحبر طرياً فيظهر بلون الذهب ، وهو عمل الاكابر .

نوع من الطينة

يؤخذ راسخت ، ومن الحتات الذي يقع تحت سدان الحداد ، وجزء من طحال البقر وزلال البيض ، ثم يطين الفنجان به او يطين في جبصين ، اول مرة ويترك [١١٤] يوماً كاملاً . ثم يطين فوقها ثانياً ويتركها يوماً ثانياً ثم ثالث مرة ويتركها يوماً آخر .

وقيل ان باطن الملح والحديد اذا كلس الملح ورش على الحديد المحمي يتخذ لوناً بلورياً صافياً .

يؤخذ ابريق زمولته عكفاء الى قدام يوضع به ماء ويغلى فيصنع صنيع كور الحداد .

معرق كبير

يؤخذ زهر شقيق فاقسيا وشوكه مباركه وبابونج وزهر زيزفون وزهر هندباء وعناب وزهر لسان الثور وزهر بنفسج وزهر ورد ويانسون ، اجزاء سواء . يدق ويجبل بعسل منزوع الرغوة ويحبب والحبة مقدار لوزة . ويؤخذ منه حبة واحدة عند النوم ويشرب بعدها ماء سخناً .

ثم يؤخذ ملح محرق ويمزج بزيت وخل ويوضع لزقة على الصداع ، فهو معرق كبير .

او افرم لفتاً او ورقه واغل واشرب .

او يؤخذ ثلاثة دراهم من البنفسج الفرنجي ويغلى جيداً ويشرب حاراً ويرقد المريض فهو معرق كبير ايضاً .

النحاس

يؤخذ راسخت يحمى ثم يطفى بخل مئة مرة ، وكل مرة يغط ويرفع بسرعة عشر مرات . الجملة الف مرة ، فيرجع نحاساً كما كان .

الزرنيخ

قيل : ان الزرنيخ يشتعل مثل الكبريت ويلين غيره .

الفصاحة والبلاغة

قيل : ان من شرب من دم الفهد غلبت عليه الفصاحة والبلاغة .

لقطع الدور

يُؤخذ نعنع جوّي وبقدونس وحشيشة البرابينا ، يُدقّ [١١٥] ويُعصر من هذه الاجزاء كباية ويمزج بهذا العصير فنجان عرق ويشرب على الريق ويربط خنقات يديه حتى لا يتقيأ عاجلاً ويصوم ساعتين ويأكل صحن شوربا زوم فقط . وبعده يحصل قيّ اصفر وبه الفرج .

لوجع الظهر

قتّ الحمار اذا بلّت صوفة بزوم ثمره الناضج وتحمّلت بها نفع وجع الظهر. وللجرح قطراً ، وهو يقتل الدود .

حقنة

يُؤخذ حشيشة القزاز وخبيزة ودرهمان ملح تُغلى ويحقن بمائها. وتنفع عللاً كثيرة .

عمل الزنجارة

يؤخذ نحاس ويوضع في اناء فخّار ويُغمر بخلّ حادق ويُترك مدة ما فيذوب كله ويصير زنجاره .

كحل

يُؤخذ بودقه يوضع فيها ساف قصدير وساف ملح ويُطيّن عليه ، وتوضع في منقل نار ليلة واحدة . ثم تخرج الاجزاء وتسحق ناعماً بشرط ان يكون قد تكلّست وتُغسل بالماء ليذهب الملح وتجبل بزيت ونطرون وتعاد الى بودقه ثانية ويطيّن عليها وتوضع في اتّون الكلس من بدايته حتى نهايته. ثم تُخرج ويسحق الذي فيها . واصنع هكذا ثانياً وثالثاً ، وكل مرة اجبل . وبعد المرة الثالثة خذ الذي في داخلها واسحقه ناعماً ، فان مثله يقوم مقام اربعين مثل في الاكحال.

صفة الطينة (لوصفة الكحل التي قبلها)

يُؤخذ تراب الفخار[١١٦] ورمل والحتات الذي يُرمى تحت سندان الحداد ، يُجبل بماء ويطين به .

للدود

يُؤخذ قشر شرش الرمان الحلو وحشيشة العيثران وطيّون اجزاء سواء تُغلى حتى يصمد نصف الماء ويشرب مدة سبعة ايام ، كل يوم ثلاثة فناجين على

الريق ، ويصوم الى الظهر ثم يشرب فنجاناً رابعاً ويصبر قليلاً ويفطر فيهز كل الدود من اي نوع كان .

اعلم ان الدود يتولّد من اكل الحبوب النيئة واكل اللحم النيّ والسكر ، واكثر تولّده في الاجسام البلغمية ذوات اللحوم المسترخية . وعلاماته : لعيان النفس . ليّة القلب . فيضان الريق . اختلاج بعض عروق في الجسم . تعقيل بعض شروش او مخالع الاصابع . او الايدي . او الارجل . ثم الحرقة على القلب والجشأ الحامض ورعاية نشاف الانف .

الأوقية الطبية

اعلم ان الاوقية الطبية اثنا عشر درهماً .

استخراج دهن البيض

يُؤخذ مقدار من البيض ويُسلق حتى يفسخ قشره . ثم يؤخذ الصفار ويفرت في طواية واذا كانت من حديد فهي انسب من النحاس . ثم توضع على النار وتحرّك حتى يصير نظير البنّ المحمّص . وحينئذ يرفع عنه الدهن نظير الزيت .

وجع الرأس

قيل : ان قطع قيد الشفة الفوقانية اي المتصل بالشفة ونيرة الاسنان ، ينفع من وجع الرأس الرفيع الذي يكون عقيب نزل الدم .

بيضة الغراب

قيل ان [١١٧] من اخذ بيضةً من عش الغراب وسلقها حتى تستوي وأرجعها الى مكانها . وعندما يفقس البيض الذي في العش وتبقى هي وحدها فيراها الغراب ويذهب فيأتي بعشبة ويضعها على تلك البيضة فترجع الى جوهرها الاول وتفقس ايضاً .

عمل النحاس السيدراني

يُؤخذ توتيا ونحاس اجزاء سواء ويوضع في بودقة ويحد عليه النار حتى يذوب فيصير نحاساً سيدرانياً .

حجر عش النسر

قيل : ان الغراب يجلب الى عشّه حجر النسر نظير النسر . وشكل هذا الحجر مثل الرمل المجبول في حصى رفيع . شكل ثاني اسود معرّق بعروق حمر واصفر وابيض ، وهو الاجود . شكل ثالث حجر شحّار يخض .

اكسير قاروط الشعير

قيل: ان قاروط الشعير اذا مُسك ووضع في اناء قزاز وأطعم صفار البيض مدة خمسين يوماً ؛ وبعده يموت . اسحقه ناعماً فيكون اكسيرًا .

شكل حجر النسر ايضاً

وهو حجر صوّاني بتكوين الكلوة التي في الجوف . وله شرش في وسطه مثل الشرش المعلقّة به الكلوة . ومنه نوع آخر وهو أجود الانواع كلها . هو حجر اسود قائم ما بين الصقال والخشنة ، معرّق بعروض بيض وحمر وصفر . طريٌ ليّن . يحلُّ ابيض عند حكّه . واما هذه العروق فهي رفيعة جداً لا تُرى الا في [١١٨] غسل الحجر ووضعه في الشمس والتفرّس فيه حالاً قبل ان ينشف عنه الماء . وهذا النوع هو اشرف هذه الانواع المذكورة كلها . وهو ينفع جميع الامراض والاوجاع وذلك بحكّه قليلاً في الماء وشربه . وهو مجرَّب .

صيرورة الزئبق فضة

قيل: انه اذا اخذت حربابة وأخرجت جوفها ووضعت مكانه زيبق وخيّطت عليه وغمرته بالزيت وغليته غلياً هادئاً اربع وعشرين ساعة . وبعده اخرج الزيبق فتراه صار فضة .

الكبريت والزئبق

قيل: ان الكبريت والزيبق يدخلان في كل معدن . فاذا تغلّب الكبريت تصلّب المعدن . وان تغلب الزيبق تليّن ومال الى البياض . كما انه اذا تغلّب الكبريت مال الى الاصفرار .

تسهيل الأمور

قيل: ان من يحمل لسان الحربابة تتسهّل اموره .

الزحلفة

قيل: اذا ربطت الزحلفة الانثى او وضعتها بين جملة اوتاد حتى انها لا تقدر ان تسير : فيأتي الزحلف الذكر فيراها موثوقة او محبوسة فلا يمكنه مضاجعتها ؛ ولوقته يمضي فيأتي بعشبة ويضعها على عقدة الرباط فتنفك حالا ، او على الوتد المغروس في الارض حوطا فينقلع حالا ، ويصير ذلك في شهر نيسان . فاذا [١١٩] اخذت هذه العشبة ووضعتها على الجنزير فيتفتح زرده عن بعضه . او على الوتد المغروس فينقلع.

لرحيل النمل

قيل : انه اذا أخذ كبريت عامود وزرنيخ اجزاء سواء ، ودق ناعماً ورشّ في وكر النمل ، رحل لوقته .

للعادة المقطوعة

يُؤخذ فيجم يُغلي بزيت ويُعصر ويُرمى التفل ، ويُؤخذ من هذا الزيت ثلاثة دراهم تشربها المرأة على الريق مدة سبعة ايام وتصوم الى الظهر وتمتنع عن المآكل الباردة فتجري معها العادة جرياً عجيباً .

ويفيد جدّاً الفصد في الرجل حذاء الكاحل الجوّاني [١٢٠] .

لحبة الخنزيرة

وهيَ قروح خبيثة تسري في البدن وتأكله وسببها اجتماع خلط بلغمي تحت الجلد :

خذ صبراً ومراً حاراً ودقّ واعجن بسمن وعسل وخل وادهن كل يوم مرةً مدة ثمانية ايام ، بعد ان تغسل الحبة بالماء الحار قبل كل دهنة .

الفصل التاسع عشر

للحكاك الذي يسيل منه زوم أصفر

خذ خمسة دراهم اسفيداج ، وثلاثة دراهم كبريت اصفر ، وثلاثة دراهم افيون . اسحق هذه الاجزاء واجبلها بخل خمر وادهن .

لوجع الركب

خذ خشب الرشاد وشعير . دقّ واجبل بزيت وادهن .

او خذ اوقية من الزرنيل . دقّ ناعماً واغل بزيت وادهن .

للريقان الناتج عنه ورم

احرق خبز قمح ودقّ ناعماً وادهن بزيت ورشّ كم مرة .

لوجع الحنجرة

خذ خلاً وزيت الورد وتمخمض .

او خذ حليب اتانة او حليب معزى وتمخمض فمك .

للجرب

خذ زبل حمام وقطران وادهن .

او ادهن بدم وطواط .

او خذ بزر الكابره . دق واخلط بخل وادهن .

او خذ درهمين من دقيق يابس ؛ ودرهمين من قشر الجوز ، ودرهمين لباني. دق واخلط واطلِ .

لنزل الدم

خذ فرفحين دق وضع بماء واشرب .

للطلوعة

خذ صفار بيض وقلفون وزهر اصفر دقّهم وضع لزقة .

مرهم نافع [١٢١]

خذ شمعاً ولباناً وعلكاً وبورقاً احمر وزيتاً عتيقاً اجزاء سواء . واغلِ قليلاً .

لحل المعقود

خذ ريش الغراب ومرارة تيس اي قنفذ . ودق ناعماً واجبل بسيراج وادهن به كل جسم المعقود .

او يُؤخذ قلب السنونو ويشرب بخمر اصفر .

او يؤخذ بزر بطم وبزر فجل وبزر جزر وبزر حمّيضة ، من كل شكل درهم . يُدقّ ويجبل بعسل ويؤخذ منه في الصباح درهم وعند النوم درهم .

لحبوب الرأس

خذ زروند طويل وشمع وزيت . اغل قليلاً وادهن .

او خذ ثمانية دراهم كينا اغلها في اوقيتين ماء الى ان يصمد النصف وادهن وداوم على ذلك .

لوجع الظهر والركب

خذ دقيق الترمس ودقيق الفول وشحم حنظل واجبل بدبس واطل به .

حرف الالف

انيسون

حار يابس . وهو بزر الرازيانج الرومي والبري ويسمى اميومر وبزر الكرماج . وهو مفتّح يسكّن الاوجاع ويحلّل الارياح . وينفع من تهييج الوجه وورم الاطراف شرباً .

واذا استنشق دخانه في الانف نفع الصداع والدوار . ومع دهن الورد لوجع الأذن قطرًا . ولسبل العين كحلاً . ويدرّ الحليب في الثدي طلاء ، ويقطع العطش مضغاً . وينفع لسدد الكبد والطحال . ويدرّ البول والطمث . وينقي

الرحم من سيلان الرطوبة . ويحرك الباه . وينفع سدد المثانة والرحم جميعاً اكلاً . وللحمى العتيقة والسموم شرباً .

انستين [١٢٢]

حار يابس . وهو الشيح الرومي . يمنع العث تبخيراً . وينفع داء الثعلب ويحسّن اللون طلاء . ولورم الطحال ضماداً وشرباً . وبخار اي هبلة طبيخه لوجع الأذن ؛ ولوجع الخوانيق تمضمضاً به . وللسكتة داء النقطة شرباً مع العسل . ولوجع العين ضماداً مع الدبس . وللاستسقاء شرباً وضماداً . وكذلك للطحال ولوجع الخاصرة والكبد شرباً وضماداً . ويدر البول والطمث حمولاً . شربه ينفع البواسير والشقاق . واذا طُبخ في الخل ودهن به البيت منع البق .

النفجة

وهي المسماة المجبنة . محللة كل جامد من دم ولبن . وتجمّد كل ذائب . تنفع السيلان والصرع . وان تحملت بها الامرأة بعد الطهر حبلت . وان شربت منها بعد الطهر اضرّت . وتنفع وجع الرحم دهناً .

املج

معتدل . يطفئ حرارة الدم اكلاً . ويقوّي الشعر ويسوّده طلاءً .

استرك

وهو صمغ الزيتون . ونوع من الميعة . حار يابس . يليّن الاورام . ويثبت ويثقل الرأس . وينفع الزكام والنزلة نشوقاً . والسعال والبحة اكلاً . دهنه لصلابة الرحم ، اي بيت الاولاد .

اسطوخودس

حار يابس . وهو ثمرة الشعنين[١] . زهره محلل . وشرابه يفتح السدد . ويقوّي الباه والاحشاء ، ويمنع العفونة . طبيخه لوجع العصب . وشربه للامراض الباردة . وأكله للصرع [١٢٣] والماليخوليا . شربه يسهّل البلغم والسوداء .

اسفنج

هو معروف . يخرج من زبد البحر . اذا أحرق قطع النزف والدم رشاً . ومحرقه بالزيت لنفث الدم شرباً .

---

١) اي حشيشة النبري . وهو الكمون الهندي او هو بزره له سفا اي حسك . اوراقه كالصعتر . حبه حجري جبلي . وأجوده الطيب الرائحة ويسمى مكنسة (الناشر) .

الابرالانك

بارد رطب . وهو الرصاص المحرق والتصدير القلعي . اذا أخذ منه صفيحة ووضعت على البلغمة ذابت . ومحرقه للبواسير ضماداً .

اشنان

معتدل . وهو خرا العصافير . ويقال انه القلي ويسمى غاسول . الشرب منه نصف درهم لعسر البول . وخمسة دراهم يسقط الجنين . ونصف درهم يدر الطمث . وثلاثة دراهم للاستسقاء . وعشرة دراهم يميت . دخانه يقتل الهوام .

ازدرخت

حار يابس . هو شجرة الملليج وثمرته تسمى تاضل . ويقال انه هوالزنزلخت. ماؤه يقتل القمل ، ويطوّل الشعر طلاءً . ثمره قتّال .

ايرسا

هو اصل السوسن الاسمنجوني. اذا شرب بماء نفع البلغم . واذا قُطر من طبيخه في الاذن منع الدويّ والطنين .

انجزان

حار يابس . وهو بزر القرّيص . مع الخل يفجر الدمامل . رماده للسرطان. ومع الملح لعضة الكلب الكَلب ضماداً . ورقه يقطع الرعف نشوقاً . طبيخه مع الشعير ينقّي الصدر . وينفع لداء الجنب شرباً . يدر الطمث ، ويفتح الرحم . ويسهّل الاخلاط الرديئة حمولا .

ارنب

بري وبحري . هو حيوان . دمه للكلف . رماد رأسه لداء الثعلب . دماغه للرعشة . نخاعه ينبت اسنان الاولاد طلاءً .

(يتبـــع)

البطل اللبناني

يوسف فرنسيس الحاج

١٨١٩ – ١٨٩٢

بقلم جرجي ابراهيم نَصر

في كلّ عصرٍ من العصور، ينبتُ رجال عظام، وأبطال مغاوير، يخدمون وطنهم بنبوغهم، وعبقريتهم، وكفاحهم، فيدوّن التاريخ أسماءهم بهالة من نور على صفحات الخلود.

من هذه الفئة الكريمة، البطل اللبناني الشهير يوسف فرنسيس الحاج، الذي جاهد في سبيل لبنان، وامتشق السيف في وجه الظلاّم، وقضى العمرَ عاملاً على خدمة وطنه: فترك حسن الذكر وطيب الأحدوثة.

وُلد المترجم له في حاصبيا سنة ١٨١٩ من أبوين كريمين: فرنسيس الحاج وحنّة ابنة الخوري مخايل الاشقر الشّبابي، وطواه الموت في القليعة قضاء مرجعيون في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢. ولكنّ تاريخه ظلّ صفحةً خالدةً من صفحات البطولة والفروسية. وقد كان جدّه لبّوس بن يعقوب ابن الحاج مخائيل (١) الحكيم ابن الحاج موسى، قد هاجر من قيتولي الى حاصبيا في منتصف القرن الثامن عشر، والتحق بخدمة الامير اسماعيل الشهابي، وتزوّج فيها فأولد فرنسيس الذي عُرف بالشجاعة والفروسية، وتثقّف بثقافة عصره

(١) كان الحاج مخائيل الحكيم رجلاً ثرياً بدليل ما جاء في مجلة «المنارة» المحتجبة ٣ : ٧٢٠ نقلاً عن شرطونية الدويهي، من أن المطران سمعان عواد (البطريرك) رسم الخوري انطونيوس ابو نصر من بكلسين، كاهناً على مزارع الحاج مخائيل الحكيم في اقليم جزين في ٨ آذار سنة ١٧٢٩؛ ومن مراجعة مصادر تاريخية مختلفة تبين لنا ان الحاج موسى والد الحاج مخائيل، نزح من معاد في القرن السابع عشر واشترى قيتولي من دروز نيحا بمبلغ خمسمائة قرش.

التي أهلّته الى التوظّف في الحكومة ؛ وكان على إلمام بالطبابة المكتسبة بالخبرة بما تلقّنه عن أبيه ، الذي كان يتقن هذه الصناعة والتي حذقها في عصره ؛ حتى أنّ الأمير بشير الشهابي ، قرّبه اليه واستعان بمعارفه وخبرته الطبيّة ؛ ووضعه تحت تصرّف الجيش المصري أثناء قدومه لهذه البلاد ، ومن مآثره التقوية التي تدلّ على فضائله المسيحية وتعلّقه باهداب الدين ؛ انه وقف كرم زيتون في كوكبا الى دير مار انطونيوس في جزين بتاريخ ٥ تشرين الأول سنة ١٨٢٤ ؛ وقد ذكر هذه المبرّة الاستاذ سعيد رزق في كتابه « تاريخ جزين » صفحة ٢٤٣

وتلقّى يوسف مبادئ العلوم العربية على والده وبعض أدباء عصره ؛ ثم أخذ عن الدكتور ميخائيل مشاقه ؛ الأدب والموسيقى ، وتعلّم الفروسية مع أبناء الأمير الشهابي كما تعلّم ضرب السيف ، واطلاق البارود ؛ ولعب الجريد على نسيبه الشيخ عماد الهاشم العاقوري المشهور باقدامه وفروسيته .

ونشأ مثل أبيه شجاعاً ، مُغامرًا يميل الى الفروسية ومصارعة الاقران في الميادين بضرب السيف ورمي الجريد ، فتفوّق في هذا المضمار على معاصريه من الفرسان والأبطال .

وتزوّج من شاهينه ابنة الشيخ منصور يمّين من حاصبيا سنة ١٨٣٨ وانصرف الى العناية بشؤون عائلته ، وبعد سنة من زواجه رُزق ابنته البكر « عليا » التي حاكتْ الرجال اقداماً وشجاعةً .

وبدأتْ الفتن تكتسح لبنان ، ونشبتْ الثورات بعد احتلال الجيش المصري للبنان ، ونفي الأمير بشير الشهابي سنة ١٨٤٠ ، فانتهز فرصة الاختلال بالحكم ، بعض الرعاع للسطو والسلب والقتل ، فلم يجد بدًّا من امتشاق الحسام لدفع شرّ اللصوص ، وسفّاكي الدماء ، والعمل على قمع الفتن ، وتهدئة الحال ، والحيلولة دون تفشّي داء العصبية الطائفية البغيضة ، التي كان يُثيرها في لبنان ، الدول ذات المطامع ، وذوو الأغراض الخبيثة من الزعماء .

وفي سنة ١٨٤٣ انتخبه الأهلون على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم وميولهم ، شيخ شباب وادي التيم ، في اجتماع عقده الأمير سعد الدين الشهابي ؛ نظرًا لما رأى فيه من بسالة وجرأة ، وما خبره به من تضحية واخلاص ووطنية .

وفي هذه السنة قاد حملةً لقتال الثائر زعيم أكراد سوريا ، عمر آغا البوزلي الذي اجتاح وجماعته منطقة « الحولة » وأمعن في السلب والقتل ، فأبلى يوسف فرنسيس بلاءً حسناً ، وتفوّق على الاقران بحذقه للفنون الحربية ، واتقانه تنظيم

الخطط فضلاً عن إقدامه وبسالته ، فزّق عصابة ذلك الزعيم شرّ ممزّق في معركة « خيام عبّس » .

وفي سنة ١٨٤٥ كان القائمون بالأمر لا يزالون يرمون الى سياسة التفرقة بين الطوائف وتفكيك عُرى الوحدة الوطنية ؛ فنشبتْ ثورة قاسية محزنة ، اتخذتْ طابعاً قاسياً من العنف والقتل والحريق ؛ فقاد حملة النصارى في معركة وادي التيم ، على رأس قوّة مؤلفة من اربعمائة محارب ، ضد عدوّ يفوقه عدةً وعدداً وانتصر في كثير من المواقع ، بعد أن أنزل بممزّقي شمل الوحدة ، ودعاة الفتنة ، خسائر كبيرة . وانتصر ايضاً في معركة حوش القنعبّة في راشيا الوادي في السنة نفسها ، تلك المعركة التي امتدتْ من شمالي حاصبيا حتى زحله ، والتي دام فيها القتال نحوًا من خمسين ساعة ، وقد أبلى فيها البلاء الحسن ، فلمع اسمه واشتهر أمره .

وفي سنة ١٨٥٤ كُلّفَ من قبل الأمراء الشهابيين بنجدة تامر بك الحسين الذي كان يتنازع ونسيبه علي بك الأسعد على حكم جبل عامل ، ولكنه آثر أن يوفّق بينهما حرصاً على الخير العام وحفظاً للسلام ، ولمّا عزّ عليه اصلاح الأمر ، ناصرَ تامر بك زمناً ما ، ثم وقف موقف الحياد ، بعد تدخّل أحمد باشا الصلح ، المتوفى سنة ١٨٩٤ ورغب اليه تامر بك أن يصحبه الى مصر لزيارة عبّاس باشا لأمور سياسية ، فنزل عند طلبه ، وواكبهما إثنا عشر فارساً ، وفي الطريق هاجمهم نحوًا من مئة فارس من البدو في محلّة بئر عبد في جزيرة سينا ، فهزموا المهاجمين وكبّدوهم خسائر كبيرة ، ولدى وصولهم الى مصر ، حلّوا ضيوفاً مكرّمين على عبّاس باشا الذي توفي بعد مدة وجيزة ، ولمّا عاد الى بيروت تلقّى بشرى تعيين صديقه الأمير بشير أحمد اللمعي (١٨٥٤ — ١٨٦٠) قائمقاماً على النصارى .

كان رحمه الله لحسن سياسته ، وبعد نظره ، وحسن تدبيره ، موضع تقدير واحترام لدى أولياء الأمر وأعيان البلاد ، فانتدبوه مرارًا لحلّ مشاكل مستعصية ، كان يقضي فيها بروح العدل والانصاف ، منها أنّ الأمير بشير أحمد اللمعي ، انتدبه لإزالة سوء التفاهم ، واجراء مصالحة حبيّة بين آل الأعور وآل هلال في قرنايل بعد أن تعكّر الجوّ بينهما ، فقام بما عُهد اليه به خير قيام ، كذلك أصلحَ ذات البين بين يوسف بك كرم وشقيقه مخائيل ، وهكذا كان شأنه مع جميع المتخاصمين ، يُصلحُ ما بينهم ، ويؤلف قلوبهم في سبيل جمع كلمة المواطنين واعلاء شأن الوطن .

وقضى نكَد الطالع أن يعكّر جوّ الصفاء والتفاهم في هذا الوطن التاعس، فقد أخذت الدولة العثمانية، تعمل في لبنـان بمبدأ «فرّق تسد» فبذرت بذور الشقاق والتفرقة بين المواطنين، ورأت الوقت المناسب لتمزيق شمل اللبنانيين، فأشعلتْ نار تلك الفتنة الجامحة المشؤومة سنة ١٨٦٠ التي التهمتْ نيرانها المدن والقرى، فروّعت الأطفال وقضت على الشيوخ والشبّان، وأحرقت الدور والقصور وعمّ الخراب والدمار رغم ما حاوله العقلاء.

وقد نزل الشيخ يوسف الى ساحة الحرب ملبياً دعوة الواجب المقدس، وانقضّ على الثوّار في معاقلهم، فهزمهم، ودكّ حصونهم، وهدّ عزائمهم، وأفسد خططهم، ورمى الذعر بين صفوفهم، وقد أظهر كثيرًا من ضروب البأس والشجاعة.

وهبّ الى الدفـاع عن جزين على رأس قوّة من ابطاله، وأشار على الجزينيين في موقعة «عذّيبه» إتخاذ خطّة المهاجمة وتوحيد الصفوف بدلاً من خطّة الدفاع والتفرقة، فخالفه في الرأي وجهاؤها، فكان ذلك من أسباب انهزام الجزينيين رغم ما ابداه من ضروب البسالة والإقدام، فانه رغم سقوط جواده واصابته بجرح بليغ ظلّ في ساحة الحرب يدافع دفاع المستميت، ويقاوم ويشدّد العزائم، ويكتسح الصفوف، حتى أصيب برصاصة نفذتْ من خاصرته فدهش أعداؤه لما رأوه من جرأة وشجاعة، وكان أكثرهم إعجاباً بفروسيته سليم شمس الحاصباني، واضطرّ الى الإرتداد الى ما وراء المتاريس، وعثرتْ به فرسه، فأسرعت الى نجدته، البطلة الشجاعة نور طنوس يوسف عطيه زوجة يوسف قزحيا غانم من بكاسين التي كانت تحارب مع البطل ابي سمرا غانم، فاستلّتْ سيفها وقطعتْ به حبال سرج الفرس، وساعـدتْ يوسف فرنسيس على الفرار.

وبعد هذه المعركة نزل الى صور، ومنها نقلته سفينة الى جونيه، وعاده فيها الجنرال «بوفور» قائد الحملة الفرنسية، واثنى على شجاعته واقدامه. وقدّم له سيفاً عربياً ثميناً باسم الامبراطور نابوليون الثالث.

ولمّا تألّفت لجنة دولية للتحقيق في أسباب هذه المجزرة الهائلة وتأديب المعتدي نفى التهمة عن إخوانه الدروز بإباء وشرف، وألصقها بالحكومة العثمانية التي كانت هي وولاتُها، الدافعة الأولى الى إيقاظ هذه الفتنة المُروّعة.

وبعد الفتنة المشؤومة التي أدمتْ قلبه وقلب كل مواطن، نزل الى بيروت

فأقام فيها مدة ، فاستدعاه داود باشا متصرف لبنـــان ليوليه منصباً رفيعاً ، فأبى معتذراً ، لأنه كان يكره الوظائف ويؤثر الاستقلال بنفسه .

وفي سنة ١٨٦٦ اقتنى أملاكاً وارزاقاً واسعة في منطقة « الحولة » ومرجعيون فاستوطن بلدة « القليعة بين شذاذ من مختلف الطوائف ، فحمى حماها بسيفه وبأسه ، وجمع كلمة ابنائها ، فصمدوا للاعداء ، وملأوا قلوبهم رهبـــة ورعباً .

وكان من واجبه أن يكفي تلك البقعة المترامية الأطراف ، المجاورة للبادية ، شرّ اللصوص ، وقطّاعي الطرق من قبائل العربان ، الهيب والحمدون ، الذين كانوا يغيرون عليها للسلب والنهب ، كما كانوا يروّعون السكان ويزعجون الحكام فلجأ الشيخ يوسف الى البطش بها ، واتخذ سلطة الحاكم في تنفيذ أحكامه ، فكان يُعدم اللصوص رمياً بالرصاص أو يقطع أيديهم ، ويعتقل الزعماء والثائرين منهم ، ويكبّلهم بالأغلال . .

وكان من عمله هذا يهدف الى حماية الضعيف ، وصيانة الحقوق ، وتوفير الراحة والأمن للمواطنين في تلك البقعة النائية التي رزحت وقتاً طويلاً تحت نير الثائرين والمغتصبين ، بعد أن عجزت الحكومة عن تأديبهم .

وهكذا وضع يوسف فرنسيس حداً للغزو والإجرام ، وبسط سلطانه على تلك البقاع ، فلاقى عمله استحساناً وتأييداً من جميع الطوائف ، وشاع اسمه ، وانتشر صيته ، فخافه الأشرار ، ورتع الناس في بحبوحة الأمن .

واستغاثت القبائل بوالي سوريا الذي كان يشجّع أعمال الإجرام ، فسيّر شرذمة من الجند للإيقاع بالشيخ يوسف بقيادة زعيم سوريا الأكبر أحمد باشا الشمعه ، الذي حرص قبل مهاجمة الشيخ يوسف ، على الاجتماع به ، وتوجيه اللوم اليه ، لاستئثاره بسلطة الحكومة في تأديب العربان المعتدين . فأجابه الشيخ يوسف قائلاً : لقد رفعتُ مع المواطنين مئات من الشكاوي ، وطلبنا حماية هذه المنطقة من العابثين بالأمن والمجرمين من القبائل المتمرّدة ، فلم ننل سوى الوعود ، لهذا اضطررتُ مُرغماً الى أن أصون أرزاق الأهلين ، واحمي المظلومين ، وأوفّر الراحة للنازلين في هـــذه البقاع ، فاقتنع الباشا لكلامه وعاد أدراجه الى دمشق .

وتوالت الوشايات بحق الشيخ يوسف فرنسيس ، للشدة والبطش والأساليب التأديبية التي كان يستعملها في تأديب الثائرين المتمرّدين على القانون ، فجرّد

والي بيروت حملةً عليه ، واعتقله ، وعاد به عن طريق النبطيه ، فاستقبلته ُ بشيبها وشبّانها . وأولمتْ له وللعساكر ولائم ، دلّتْ على محبة الأهلين إياه ، وتقديرهم لأعماله ، لأنها كانت تحترمه ، وهكذا استقبله بكوات آل الدرويش في المروانيه ، وفي صيدا خرج سراتُها وأعيانُها فاستقبلوه بمظاهرة وحماس ، وفي بيروت استقبله اعيانُها في الحرج وفي مقدمتهم الحاج محيي الدين بيهم وعمر آغا الغزاوي وعبد الرحمن فتح الله ، فأوقف تمهيداً لمحاكمته ، ورُفعتْ الاحتجاجات من جميع الطوائف الى المراجع ذات الشأن ، وشاءت العناية أن يموت الوالي بعيداً فجأة في نابلس ، فتهلّل المسلمون قبل سواهم ، وخرج الشيخ يوسف من سجنه بعد أيام موفور الكرامة ، ناصع الجبين .

إنّ أعمال الشيخ يوسف أشبه بالأساطير ، ومما يُروى عنه ، انه اعتقل يوماً ثائراً خطيراً عاثَ في البلاد فساداً ، فاحتشد أنصاره على حدود « دفنا » الشرقية بضواحي الحولة ، وهم يهزجون ، ويطلقون العيارات النارية بقصد الإرهاب لفكّ أسر الثائر ، ولكنهم لم يجرأوا على مهاجمته ، لما كانوا يعرفونه من إقدام وبطش الشيخ يوسف ، وبعد أن رُبطَ هذا الزعيم الثائر بعقال الخيل ، عُرِض مدة ثلاثة ايام على بيادر « دفنا » على طريق القوافل ، ليكون عبرةً لسواه ، وبعد وساطات وشفاعات أطلق سراحه ، فاستقرَّ الأمن في هذه المنطقة التي كانت مسرحاً للصوصية والإجرام .

وكان رحمه الله من هواة تربية الخيول ، العارفين بأصولها ، فاقتنى الكثير من مختلف أجناسها من كحيلا عجوز ، ومن حمداني ساميِّ وصقلاوي جدران ، ومن « العبيّا » و « المعنّقي » فاشتهرت أفراسه في أنحاء لبنـان وبادية الشام ، وألّف كتاباً موسوماً باسم « سراج الليل في سروج الخيل » ألمّ فيه بأوصاف الخيول وأصولها وطرق تربيتها ، وفضّلها على سائر الحيوان ، وكان في داره ثلاثون فرساً من أصائلها .

وكان له إلمام تامّ بالطب القديم الذي ورثه عن ابيه ، فكان يعالج مجاناً الفقراء ، ويضمّد جراحهم ، ويقوم بالعناية بهم ، كما كان كريماً مضيافاً ، فكانت داره في القليعه وفي دفنا ملتقى الضيوف ومأوى البائس والملهوف .

وكان وفياً في صداقته ، ينسى الإساءة ، ويذكر المعروف ، وقد أطلق عليه البطريرك الأورشليمي منصور براكو المتوفي سنة ١٨٨٩ لقب حـامي النصارى في الشرق .

ومن مآثره انه واكب المطران بطرس البستاني مع أشباله وابنته عليا وكوكبة

من فرسانه وهو في طريقه الى منفاه في القدس سنة ١٨٧٨ ؛ وقد سجّل له هذه المأثرة وأشاد بغيرته الوطنية والدينية المرحوم الخوري ابراهيم حرفوش ، في كتابه تاريخ البطريرك الحويك .

وكان يقوم بفرائضه الدينية مع عائلته في كل يوم ؛ وقد ورث هذه العادة الحميدة عن آبائه واجداده ، فيتزوّدون القربان المقدس من يد كاهن الرعية الخوري بطرس رزق . وقد توفي هذا الكاهن البار فجأة في القليعه صباح الخميس في ١٥ من كانون الثاني سنة ١٨٩١ ودفن فيها باكرام .

كما أنّ للشيخ يوسف آثاراً كثيرة ناطقة بفروسيته وشجاعته ونصرته لدينه وأبناء وطنه واقتحامه للاهوال ، ورده للعصابات ، ونشر روح الفروسية والإقدام بين مواطنيه وأبنائه ، ووقوفه الى جانب الحق في الحالات التي كان يضطرب فيها حبل الأمن وتسود الفوضى .

بناته وأبناؤه

ولقد أنعم الله عليه ، ببنات وأبناء بررة ، غرس في قلوبهم ، محبة الدين والوطن ، وحفظ الوصايا ، والطاعة للرؤساء الروحيين والزمنيين ، ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف ، وإعالة المعوز والفقير ، وقد اعتمدتُ في الكلام عنهم على وثيقة خطيّة محفوظة لدى حفيده الشيخ سعيد سليم فرنسيس . وقد اشتهرت ابنته « عليا » المولودة في حاصبيا سنة ١٨٣٩ ، التي نشأتْ على غرار ابيها ، بالشجاعة والبطولة ، حتى بزّت الرجال باقدامها واتقانها للفروسية والفنون الحربية ، كما أخذتْ عنه فن الطبابة العربية ، فمارستْ هذه المهنة طوال حياتها بدقة واتقان ، فكانت تُعنى بعلاج السيدات ، ولشدة ورعها وتقاها أحبّتْ أن تنخرط في سلك الرهبانية الأنطونية في دير جزين للابتعاد عن شرور العالم ، فلاقت ممانعة شديدة من والديها ، فقررت أن تكرّس حياتها ، وهي بين الناس ، لله وخدمة الوطن ؛ وحدث أنّ جماعة من الاشرار أخذوا يتألّبون في تربة الحوارنة ، قرب حاصبيا ، لمهاجمة نصارى الاقليم ، فقادتْ فريقاً من رجال ابيها ، وردّتهم على أعقابهم ، بعد أن فقدوا ثلاثين قتيلاً ولم تخسر هي سوى جريح واحد ، وهكذا أصبح الأشرار يخشون بأسها وصولتها ويقدّرونها حق قدرها ، وقد ناصرت والدها واخوتها في عدّة معارك شهدتْ لها بالشجاعة والاقدام ، وكثيراً ما كانت تتغلّب على الصعوبات التي كانت تعترض سبيلها ، لبُعْد نظرها وعمق تفكيرها وحدّة ذكائها ، وقد تعرّضت قافلتها ذات يوم في طريقها الى بيت المقدس ،

لهجوم عربان قبيلتي : الخيب والحملون ؛ فهزمتهم شرّ هزيمة ، وقد قاست عليا أهوال الحروب ، وشهدت مجازرها الرهيبة فالتاع قلبها أسىً وحزناً ، وصحبتها تلك الذكريات المؤلمة حتى الممات . وكانت رحمها الله من أعضاء اللجنة المكلفة وضع شروط الصلح بين النصارى والدروز سنة ١٨٦٠ فألصقت التهمة كوالدها بالدولة العثمانية بكل جرأة ؛ مدللة بذلك على نزاهة وخبرة وضمير حيّ .

وفي الحرب الكونية الأولى ؛ وقفت إيرادها على الجياع ، وتطبيب الفقراء ومعالجتهم . بمعاونة شقيقتها مريم (١٨٥٠–١٩١٦) التي كانت تساعدها في هذه المهمة الانسانية ، وظلّت تقوم بفرائضها الدينية الى أن لبّت نداء ربّها في القليعه السبت في اول تموز سنة ١٩٢٣ وأقيم لها مأتم حافل ودفنت الى جانب أبيها وأخوتها مأسوفاً عليها مذكورةً بمآثرها وبطولتها وحسناتها .

وأما أبناؤه فقد نهجوا نهج أبيهم ، فكانوا حُماة الوطن ، وملاذ الفقراء ، ونُصراء الضعفاء بحيث حافظوا على شهرة أبيهم وحموا حمى مواطنيهم وهم : **ملحم** (١٨٤٢–١٨٩٢) كان من خيرة الرجال اقداماً وبسالةً ، رافق والده في كثير من المواقع الحربية ، وطارد العصاة والعابثين بالأمن ، فخشوا بأسه : أصيب في مطلع سنة ١٨٩٢ بداء الجنب ، فذهب مأسوفاً على شبابه وبطولته . **سعيد** (١٨٤٦–١٨٩٢) اشتهر بمواقفه البطولية وبجرأته وتأديبه للعربان المتمرّدين ؛ راعه وفاة أخيه ؛ فاستسلم للحزن واليأس وقضى نحبه بعده بأشهر معدودة فكان المصاب به أليماً موجعاً . **سليم** (١٨٥٣–١٩١٦) تثقّف بثقافة عصره واشتهر كوالده بالبطولة وحبّ الخير والوئام؛ انتدبه بطريرك الروم الكاثوليك عضواً في مجلس طائفته لأبرشية صيدا ومرجعيون لفضّ المنازعات والتأليف بين الطوائف وكانت وفاته في القليعه في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٦ . **أسعد** (١٨٥٦–١٨٩٨) كان أديباً شاعراً عُرف باتقان ضرب السيف واطلاق الجريد ولعب الفروسية وركوب الخيل، عُيّن عضواً في محكمة القضاء البدائية ، وكان يحسن اللغة الفرنسية ويجيد نظم الشعر في اللغة العربية ، كما كانت له علاقات ودية مع الطوائف الدرزية والشيعية والاسلامية ، أصيبَ بحمّى خبيثة في مزرعة دفنا بضواحي الحولة ، وتوفي في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٨ ودفن في القليعه .

وفاته

وبعد أن بلغ الشيخ يوسف الثالثة والسبعين من عمره ، أصيبَ بانهيار

شديد وانحطاط قويّ في قواه الجسدية ، وذلك نتيجة جهاده الطويل وحزنه على ولديه اللذين فقدهما الواحد بعد الآخر ، وأخذ نوره يخبو رويداً رويداً . ولكنه ظلَّ حتى وفاته ، سليم العقل ، متقد الذهن ، يستقبل رغم مرضه زائريه ، ويقصّ عليهم ، أخبار عصره ، ويزوّدهم بالنصائح ، ويدعوهم الى الإستماتة في حب الوطن والدفاع عنه ، وقد لبى داعي ربه في القليعه يوم الجمعة في ٢٥ من تشرين الثاني سنة ١٨٩٢ مأسوفاً على بطولته وبرّه وإحسانه .

وقد شُيّع جثمانه باحتفال رائع ، شهده أعيان جميع الطوائف . ومشى وراءه الشعب باكياً آسفاً على فقده ، مشيداً بمآثره ، وبلغ من شدّة حزن ابنته « عليا » أنها أخذتْ تُحاول منعهم من مواراة الرفات في التراب ، وأصرّتْ على أن يُدفنَ في داره ، لتظلَّ الى جانبه ، ولم ترضَ بنقل الرفات إلاّ بعد أنْ بذل لها الرؤساء ورجال الاكليروس النصائح ، ولم تبرد لوعتها ، ولا جفّتْ عبرتُها ، حتى وافاها الأجل المحتوم ، فجمع الموت بين البطلين ، بعد أنْ ضمّتهما الحياة في الجهاد والوجاهة والوطنية .

وظلّت ذكرى هذا الفقيد العظيم تتداولها الألسن ، ويُحدّثُ بها الآباء ، الأبناء والأحفاد ، وقد طالما سمعتُ وأنا في مقتبل العمر ، شيوخ قريتي بكاسين وأدباؤها يتسامرون ويتنادرون بأحاديث هذا البطل المغوار ، ولا سيما نسيبي المعلم المرحوم خليل ضاهر ابي عيد ، الذي دوّن الكثير من أثار هذا البطل ، ورثاه بمرثاة رقيقة نذكر منها ما يأتي :

بكت البلادُ غضنفراً سامي المدارك والمشاعرْ
عالي الصفات وما له بذوي البسالة من نظائرْ
عفّ اليدين من المآ ثم طاهرٌ صافي السرائرْ
تعنو له في جوّها شتى البزاة من الكواسرْ
عذبُ الحديث كأنه مُزن الغمائم وهو ماطرْ
واذا تقدّم للوغى هزم المواكبَ والدساكرْ
مهما تكاثرت الصفوف وأحدقتْ فيه المخاطرْ
وتلاطمتْ أمواجُها وتزايدتْ حُمّى الدوائرْ
عرّفَ السّبيلَ الى مُلافاة الموارد والمصادرْ
ماذا أقولُ وفي الحشا ما دونهُ حرّ الهواجرْ

والدمعُ سحَّ يفيضُ من مجرى القلوب أو المحاجرْ
لو استطيعُ لقلتُ ما بَزَّ الأوائلَ والأواخرْ
من ذا الذي عُقدتْ عليه سواك ، في الأمس الخناصرْ
وأتى يُشرّفُ جيلَهُ من غابرٍ منه وحاضرْ
أذكرْ ولا تنسَ البنينَ من الكبارِ أو الأصاغرْ
أضناهمُ ذاك الصدودُ وما بهم للبين صابرْ
لا الدمعُ في الآماقِ جفَّ ولا انطوتْ تلك المآثرْ
ولقد وقفتُ عليكَ دمعَ العين ، أو دمعَ المحابرْ
بلّتْ ثراكَ مراحمٌ وبخينُ دمع خليل ضاهرْ

١٨٩٢

حقيقة «وثيقة تبرئة اليهود»

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي
المستشار اللاهوتي لغبطة البطريرك الماروني
والخبير في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني

— ١ —

توطئـــة

كلمة الكنيسة كلمة حق. فهي ان ضايقت شواعرنا فلاننا لا ننظر اليها نظرة الكنيسة نفسها. وبالتالي فان هذه المؤسسة الالهية التي اعطاها — ولها وحدها — السيد المسيح مكوّنها السلطان لتأويل كلامه واعماله حياة للبشرية، لا يسوغ لانسان مهما علا مقامه ان يبكّتها او ان يصلح ما قالته، والروح القدس دوماً يسير خطواتها نحو الغاية الوحيدة: خلاص البشرية واعطاؤها السنن القويمة لانارة الطريق. فلا السياسة شاغلها ولا الدول تحتل مركزاً في اهتمامها الا بمقدار ما في ذلك من خدمة للانسان ومن تقييم حياته ومساعدته على الانفلات من ربقة المادة الى عالم الروح. فالسياسات تضمحل والدول تنقضي والكنيسة باقية صامدة امام الاعاصير والاضطهادات. فهي هي في حياتها تفتش على مر العصور عن الطريقة المثلى لايصال البشارة الروحية الى من افتداهم الاله—الانسان بدمه الذكي غير آبهة في ذلك لما ينجم عن عملها من صعوبات وعراقيل.

تاريخ «الوثيقة»

سنة ١٩٦٢ في آخر اول جلسة المجمع المسكوني عرضت على الآبـاء مسودة «الوثيقة» هذا عنوانها: «اليهود». فلم تكن تتكلم الا على القرابة الروحية القائمة بين اليهود والمسيحيين من خلال الوحي الكتابي في العهدين القديم والجديد، وكأني بالعهد القديم التربة التي منها نبت العهد الجديد ليكمل لا لينقض، او قل التربة التي فيها تتأصل جذور العهد الجديد.

وقد زادت « الوثيقة » على ذلك ان اليهود كشعب، وان قام عدد منهم وقتلوا المسيح، ليسوا هم المجرمين السفاكي الدماء. ان المسيح مات فداء عن خطيئة العالم وهو الذي دلّ عليه يوحنا بقوله: « هوذا حمل الله الذي يحمل خطيئة العالم » – والدم الذي سفكه هو لخلاص البشرية جمعاء التي قتلته بخطيئتها وباهاناتها الله – وقد تمثل الاجرام تاريخياً بما صنعه اولئك اليهود الذين صلبوا ابن الله. فليست اعمالهم اعمال الشعب اليهودي وليس اجرامهم ليدين شعباً بكامله. فمعنى الصلب اوسع من ان يكون اقترفته زمرة من اناس تستعملهم الاهواء لاقتراف ما ينبذه العقل وتدينه العاطفة الانسانية.

هذا ما ارادت ان تقوله الوثيقة في شكلها الاول.

كان احد الاكليريكيين الكبار من السكرتيرية التي تعنى بوحدة المسيحيين قد طاف على سفراء الدول العربية واطلعهم على نيّة الكنيسة الدينية البحتة وأكد لهم ان ليس وراء ذلك من مبطنات ولا من سوء نية. وألحّ عليهم بابداء الرأي فقالوا اذا كان الامر دينياً بحتاً فليس لنا ان نتدخل في شؤون المجمع. وما ان عرضت الوثيقة تلك على آباء المجمع حتى هبّت البلاد العربية مؤكدة ان لتلك الاقوال نتائج وخيمة سياسية الا وهي تقوية اسرائيل الصهيوني في اعماله التعسفية. وربما قادت تلك الوثيقة يوماً الى الاعتراف باسرائيل كدولة مستقلـــة.

فأجابت الكنيسة بصوت الكردينال « بيا » ان ليس لها ثمة نية سياسية في الوثيقة. فارادتها محض دينية. طرحت الوثيقة على الآباء وطلب اليهم ان يبدوا الرأي في عنوانها وشكلها وفحواها. وكان السفراء قد صادقوا عليها مبدئياً بانهم لم يروا فيها بادئ ذي بدء ما يقض المضاجع وما يحرم العيون من النوم.

مضت سنة وعرضت على آباء المجمع خلال ١٩٦٣ مسودة اخرى للوثيقة تغيّر عنوانها فصار « اليهود وغير المسيحيين » تحتوي على ما جاء في الوثيقة الأولى. انما زيد عليها بعض الشيء عن الدين الاسلامي اذ قالت: « الاسلام يؤمن بالاله الواحد وله من مواقفه الروحية عاطفة دينية صادقة ».

افضى الآباء بملاحظاتهم وصرنا الى السنة ١٩٦٤ وما كانت دهشتنا عندما عرضت علينا صورة ثالثة للوثيقة تغيّر فيها العنوان فصار: « صلة الكنيسة بالاديان غير المسيحية ». وتغيّرت فيها المقدمة او بالحري زيدت على الوثيقة وتقول: «البشرية واحدة على اختلاف العناصر والاديان اذ خلقها الاله الواحد، والمشاكل التي تعتري قلب الانسان اياً كان هي هي: ما هو الانسان وما معنى الحياة وما هو الخير والشر، وما هو الموت والثواب والعقاب بعد الموت؟ وما هو ذلك

السر الذي يكتنف الحياة منه صدرنا واليه نعود » ؟

وزيدت ايضاً على هذه الصورة الثالثة للوثيقة كلمات جميلة على الاديان التي تفتش كلها عن جواب لمشاكل الانسان ولحيرته امام الطبيعة وامام عقله فتقول: « ان الهندوسية تسبر غور الفلسفة والمخيلات الدينية كي تخفف من وطأة الحياة على البشر فتدخلهم في جوّ حياة تقشفية وفي تأملات عميقة وفي فزع الى الله بحب وثقة علّهم يريحون قلقهم . اما البوذية فانها تلحّ على الانسان بترك هذا العالم الفاني وبالعودة الى الزهد والانفلات من الدنيا كي يعيش في صفاء وراحة دائمة » .

اما الاسطر القليلة عن الدين الاسلامي التي نجدها في الصورة الثانية للوثيقة فلقد توسعت هنا وتعددت فيها العقائد القرآنية : الايمان بالاله الواحد ، الحي ، القيوم ، القدير على كل شيء ، خالق السماء والارض ، المتكلم مع البشر ، الذي يفرض الطاعة لأوامر ارادته العلية . فابراهيم سار في طاعة كلية وبايمانه يشترك الاسلام . والدين الاسلامي، وان لم يقرّ بألوهية عيسى فانه يجله كنبي ويحترم امه مريم البتول ويستشفعها مراراً . ويعلّم الناس ان ينتظروا يوم النشر عندما يجازي الله البشر حسب اعمالهم . اذ عليهم ان يكرّموا الله خاصة بالصلاة والزكاة والصوم . والمسلمون مجدون وراء حياة اخلاقية فردية وعائلية واجتماعية . واذا ما كان التاريخ يطلعنا على بعض التفرقة والعداوات التي حدثت بين مسيحيين ومسلمين فان المجمع المقدس ليحرص بكل ما في وسعه كي تنسى الايام الماضية ويصير تفاهم متبادل صادق لتقوم بين البشر عدالة اجتماعية ، قيم اخلاقية ، سلام ، حرية .

بعد هذين المقطعين اللذين ضمنتهما الوثيقة جمال تعبير وعمق تفكير تنتقل بنا الى الكلام على اليهود : « ان الرباط وثيق الذي يربط شعب العهد الجديد بابناء ابراهيم » . فالكنيسة تعترف أن ايمانها ودعوتها يتأصلان في آباء العهد القديم وفي موسى والانبياء وأن دعوة ابراهيم تشمل ابناءها الذين هم ابناء ابراهيم بالايمان (غلاطية ٣–٧) ، وان خروج الشعب المختار من ارض العبودية يرمز الى خلاص الكنيسة . فهو شعب العهد وعلى جذع الزيتونة تطعمت اغصان الزيتونات البرية التي ترمز الى الوثنيين (رومانيين ١١/١٧–٢٤) والمسيح الاله قد صالح اليهود والوثنيين بواسطة صليبه وجعل منهما شعباً واحداً (افسس ٢/١٤–١٦) اذ هو سلامنا . فمن صلب اليهود كان الرسل اعمدة الكنيسة وأساسها ... وبينما العدد الكبير من اليهود لم يقبلوا بالانجيل فان الله ، على حد قول الرسول (رومانيين ١١/٢٨–٢٩) لا يزال يحبهم ، اذ انه لا يندم على ما

صنع...» ولذا فان الصلات عديدة بين المسيحيين واليهود وعلى الفريقين ان يتعارفوا ويحترم بعضهم بعضاً. وبما ان للاثنين ثروة يتقاسمانها فان المجمع المقدس يرذل الحقد والاضطهادات اللاحقة باليهود ان في ما مضى من الزمن او في الاوقات الحاضرة. فلا تعليم منذئذ ولا وعظ يكوّن في قلوب المؤمنين حقداً على اليهود او ازدراء بهم. فلا يجوز ان نعلّم ان الشعب اليهودي لعنه الله وغضب عليه وهو هو المجرم بقتل ابن الله. فما حدث يوم تألم المسيح لا يحق لنا ان ننعت به الشعب اليهودي المعاصر للمسيح نفسه ولا الشعب القائم في ايامنا هذه اذ مات الاله الانسان بملء ارادته (أعطي حياتي كما اريد واسترجعها ولا احد يأخذها مني) وموته محبة شاملة للبشرية كلها وينبوع نعم لمن اراد ».

. . .

في مقطع اخير توسع الوثيقة آفاق التفكير وتعطينا بعض الومضات عن التفرقة العنصرية التي يرذلها المجمع اياً كانت ان تفرقة عرق او تفرقة لون او تفرقة ثروة او تفرقة اسياد وعبيد ويطلب الى الجميع ان يعيشوا في سلام ومحبة كأبناء أب واحد الذي في السماء.

هدف الوثيقة

كان المجمع قد اعدّ بين ما هيأ من المسودات واحدة تتكلم على موقف الكنيسة امام العالم فتلقي نظرة شاملة ودقيقة على مظاهر العالم القائم وتعطي رأيها فيها وتبدي موقفها امامها او صلتها بها. فهناك امور عديدة على الصعيد التشريعي (صلة الشعوب بعضها ببعض) او على الصعيد العائلي (الزواج والنسل) او على الصعيد البشري (الحرب والسلام والقنبلة الذرية) او على صعيد الثقافات المختلفة الخ... فكان اذ ذاك من حق الكنيسة ان تقول كلمة عن صلاتها بالاديان التي تسيّر الانسان نحو هدف حياته. فعرضت الوثيقة التي نحن بصددها مؤكدة ان ليس فيها من هدف سياسي وان ارادتها ان تكون بينها وبين المجموعات الدينية الاخرى رباطات دينية واجتماعية لخير العالم باسره. ولذا فلم تتعرض الوثيقة لاحكام عقائدية على الاديان انما اعطت النموذجات العملية والراعوية المستمدة من الوحي الالهي والتي على المؤمنين اتباعها كي يتمموا واجباتهم كمؤمنين.

والحالة هذه فكيف نستطيع ان نلصق بالكنيسة وبهذه الوثيقة بالذات تهمة العمل السياسي؟ كيف نتجاسر ان ننسر نيات واضحة كهذه تفسيراً مغايراً للحقيقة؟ كيف نضيع المنطق عندما تسود الاهواء وتجرف العاطفة اللاعقلية؟

تريد الكنيسة في وثيقتها هذه، وهي تعيش في عالم يسير نحو الوحدة بخطوات

سريعة : ان تعود الى الارادة الصمدانية الاولى التي بها اراد الله البشرية واحدة ، ومنها الى العمل على تقريب القلوب والعقليات بابراز ما في الاديان القائمة من قيم روحية واخلاقية تقوم سداً منيعاً في وجه الالحــاد والتي ان دلت على شيء فهي تدل على انعكاسات الحقيقة الالهية الواحدة في مختلف الثقافات والعبادات .

ولذا فالانسان يستمد كرامته من ابوية الله نحوه ولا بد له اذاك من ان يعود فيعيش تلك الكرامة بمحبة الاخرين يلتقون جميعهم على صعيد واحد ، صعيد الاخوة التي لا تنفصم عراها وصعيد السلام حسب قول الرسول « ان امكن فسالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون » (رومانيين ١٢/١٨) .

الخطيئة الاصلية وصلب المسيح

في المعتقد المسيحي ان الخطيئة التي ارتكبها آدم بمعصية الله هي التي شاركه بها ويشاركه بها كل ابناء البشرية اذ يولدون في الخطيئة وفي الاميال الى الخطيئة وفي حال سخط الخالق عليهم . فآدم ابو الجنس البشري كان قد اعطي من الله نعماً لم يستفد منها فخسرها وبخسرانها سبب لنفسه ولابنائه تعاسة وحقداً في معاطاتهم المتبادلة .

خطيئة اصلية واحدة تنعكس اصداؤها على نسل آدم وابنائه كلهم .

ولا ترضى الكنيسة بتقليدها ولا بالوحي الذي ائتمنت عليه بخطيئة اصلية ثانية . فاليهود المجرمون الذين صلبوا المسيح لا تعبر خطيئتهم وجرمهم بقتل الاله الانسان الى ابنائهم . فهم هم الخونة والمجرمون ، يحملون وحدهم مسؤولية الجرم .

او نقول ان الشعب الالماني بكامله مجرم لان هتلر والنازيين انزلوا في الملايين من البشر عذابات همجية وفظعوا بهم ونكلوا ؟ اونقول ان العائلة الفلانية غريبة عن الاخلاق العالية لان واحداً من ابنائها خرق العهد وسار في التهتك ؟ الى ما هنالك من الامثال .

انما علينا ان نبدي هنا رأي علم اللاهوت ؟ فاذا ما صلب اليهود المسيح وكانوا المجرمين الاوحدين فما دوري انا في صلبه وما نفعي من موته ؟ ألم تكن خطيئتي سبباً من اسباب الصلب ؟ او لا تدخلني خطيئتي في سر الفداء ارتوي من دم المسيح واغسل نفسي من ادران الجرم ؟ او اظل خارجاً عن سر الفداء ارى اليهود يصلبون المسيح وكأن المسيح لم يمت الا لان اليهود افترسوه وعذبوه ؟

مقال عن « المصلوب »

اراد الله في بدء الكون ان يولد الانسان طاهراً فاغدق عليه النعم ليعيش بارادته وحريته حياة برارة وسلام مع ضميره ومع خالقه ويعود دوماً الى سماع كلام الله في اعماقه فيقوم بما هو عبادة صادقة. فما كان من الخليقة الا ان عصت خالقها واهانته فمن يخلصها ويهديها سواء السبيل؟ من يثأر لله ولمجده ولكرامته اذ الانسان انكر الجميل وفضل الالتصاق بالارض على المكالمة المستمرة مع مبدع الاكوان؟

تلك الحرية التي كلل بها الخالق الانسان خليقته ما معناها وما معنى الله نفسه اذا كانت صورة او شكلاً لا طائل تحته واذا لم يعطها الله الا ليستعبدها؟ انما الله بمعرفته الالهية الازلية يعلم ان تلك الحرية لن تسير في الصواب وانها ستضل الطريق. وما هي معرفته تلك التي تجرف الانسان الى الخطيئة. فالمعرفة السابقة التي هي ميزة الخالق ليست زمنية لتعاكس تطوير الحريـــة وتحمل مسؤولياتها: انما هي في حاضر دائم ترى الامور وتترك للبشر ان يتحملوا عاقبة الشر الذي يصنعون او يتقبلوا جائزة الخير الذي يفعلون.

فلا تمثلية اذاً ولا « كوميديا » كما يقول صاحب المقال عن « المصلوب » الصادر في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤، الذي كنت ذكرت اسمه لو كان ذكر هو اسمه في مقاله.

ففي تلك المعرفة الازلية التي في ازليتها لا تعاكس الحرية في تطويرها الزمني احب الله ان يعطي للخطيئة مخلصاً وللانسان فادياً فكان التجسد وكانت الآلام المبرحة وكان الصليب وكانت القيامة من بين الاموات. الصليب كان ليس فقط ليخلص الانسان من استعباد الخطيئة ولكن ليعيده في الوقت نفسه الى خالقه، ليريه وجه ابيه وليكون بين الخليقة وربها صداقة والفة ومؤانسة جديدة.

فالخطيئة كانت اذاً الجرم الاكبر والخاطئ كان المجرم الاكبر الذي صلب المسيح. وتلك الخطيئة وذلك الخاطئ استعملا اليهود ليمثلا الجريمة على الجلجلة. فكانوا آلة الخطيئة.

او لم يعلم الله ان اليهود سيصلبون المسيح؟ نعود فنقول: ان يعلم الله ان فلاناً سيخطئ ليس ذلك العلم ولا تلك المعرفة اللذان يقودان الانسان بحتمية قاسية الى ارتكاب السيئات والتهور في المعاصي فمعرفة الله لا تخلق الشر والله خير هو لا شرّ فيه. ومعرفة الله ومحبته للبشر لا تفرضان على حرية الانسان ان تقترف الجرائم قسراً. فان تم ذلك ففيه هدم الدين واهانة الخالق والنزول به الى صعيد البشر. فاية فلسفة روحانية واي دين يرضى بان يكون الخالق

في دور انسان مع انسان؟ حسب قول الرسول : « لان غير منظوراته قد ابصرت منذ خلق العالم اذ ادركت بالمبروءات ... استبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد بشبه صورة انسان ذي فساد ... » (رومانيين ١/٢٠ و٢٣) .

ولذا فاننا لم نجد في المقال المذكور عن « المصلوب » الا جملة صدق فيها صاحبه وهي : « نحن نجهل اللاهوت» ولم يترك لنفسه العنان اذ غاص في بحر اللاهوت وضل السبيل . فهناك امور دينية وعقائد تفرض الرهبة والاجلال لا يحق لاحد ان ينظر اليها نظرة اللامبالي ولا نظرة الدنيا التي تفرغ العقيدة من ميزتها الدينية لتصير شكلاً فلسفياً ليس الا . وقد قال ماسينيون : « لن يفهم الدين الا من كان صاحب دين ولا يستوعب عقيدة الايمان الا المؤمن » .

فيجدر ببعض رجال الصحافة الاكارم ان يتركوا ما لا يعنيهم . فالمواضيع التي لهم ان يهتموا بها واسعة الارجاء عديدة فلا يحق لهم ان يثيروا المشاكل لتقلق الضمائر وأن لا يحترموا المعتقدات اياكانت. فهم ان تهكموا ادانوا انفسهم وان ارادوا ان يلقوا شعاع العقل على امور تفوق العقل يكونون كمن يريد ان ينظر الى الشمس من خلال نظارات سوداء تخفف من قوة الشمس ولا تنال من حقيقتها . فالكرامة ميزة الانسان العاقل . ومن الكرامة ان لا يعتني الانسان الا بما هو قادر على استيعابه وان يسكت ويعبد في قرارة نفسه الى ان ينال بنعمة الله وصفاء الضمير ما يؤهله الى خوض بحر الالوهية. وعلى كل منا ان يصفو الى الداخل وان ينقي الاناء ليصير اهلاً اكثر فاكثر للدخول في مؤانسة الله ومكالمته حسب القول المأثور: في كل منا وثني يعود الى الله رويداً رويداً والكمال للخالق وحده .

تثنيت الوثيقة

عرضت « الوثيقة عن اليهود » على آباء مجمع للتصويت في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٤ فنالت ١٦٥٧ صوتاً يعاكسها ٩٩ ويمتنع عن التصويت ٢٤٢ .

التصويت في المجمع على ثلاث صور : تصويت مبدئي كي يرى الآباء اذا كانت الدروس التي تعرض عليهم صالحة لتؤخذ اساساً للبحث والمناقشة . وتصويت ثان وهو ، بعد ان يكون الآباء قد اشبعوا الدروس تلك تمحيصاً ونقداً، ان يصوت على اقسامها واجزائها وفصولها . وفي النهاية تصويت ثالث على تلك الدروس بكاملها . فمنها ما يكون قد احبه الآباء في بعض فصوله ويرفضونه ككل . ومنه ما يكون قد رضي عنه الآباء ويكون الرضى كاملاً مع طلب بعض الاصلاحات الشكلية والفكرية .

فالتصويت على الوثيقة التي نحن بصددها لم يكن الى الآن الا مبدئياً .

فالوثيقة صالحة في نظر الآباء لتكون اساساً للبحث في الدورة الرابعة للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني .

فمن يستطيع التكهن بمستقبل الوثيقة بعد جدال ومناقشة الآباء وهم لا يستوحون في درسها الا صوت الضمير والتعاليم الالهية عن المحبة وعدم الرضوخ للتفرقة العنصرية اياً كانت ؛ ومن يستطيع ان يعرف من هم الآباء الذين صوتوا للوثيقة والذين صوتوا ضدها . فاسماؤهم تحفظ بين الوثائق السرية .

هذا اذا سارت الامور في مجراها الطبيعي العادي .

ولكن هناك طريقاً آخر وهو ان يستعمل قداسة البابا بولس السادس سلطته العليا للتدخل في امور المجمع — وقليلاً ما استعملها ويستعملها ليترك للاباء حرية المناقشة وخاصة في نقطة محض دينية — ويطلب الى المجمع ان لا تعتبر الوثيقة تلك من دروسه .

ولذا فالمطلوب من كل من ينظر الى المجمع المسكوني ليقف على مقرراته ان ينظر اليها نظرة الاباء انفسهم لا حسب ما يريد ان يحمل الافكار والكلمات والصيغ من اهواء شخصية ونيات لم تخطر ببال المجمع .

هكذا اليوم وهكذا كان . فعندما ظهرت رسائل الباباوات بيوس الحادي عشر وبيوس الثاني عشر ويوحنا الثالث والعشرين في المشاكل الاجتماعية اخذ اصحاب رؤوس الاموال يبتهجون كانهم رأوا بام العين ان الباباوات يدينون الاشتراكية ويأخذون برأي اصحاب العمل . وكان الاشتراكيون المتطرفون يهللون لانهم لقوا في تعليم الكنيسة ما يدحض كلام واعمال ومواقف ارباب العمل والمتمولين — انما تعليم الكنيسة هدفه احترام الانسان واحترام معتقده والسهر على راحته الفكرية والادبية والجسدية لكي يصفو عقله لعبادة الله خالقه ؛ ويسير بين صعوبات الحياة وآلامها الى خلاص لن يعطيه اياه الا من افتداه بدمه الذكي .

ولذا فالمطلوب ان ندخل في نية الكنيسة لا ان نعير الكنيسة نياتنا فهذه المؤسسة الشيخة الفتية تفكر بالامور ملياً قبل ان تعرضها على بحث الباحثين اذ هي تحترم الناس ولا تريد ان تقلق راحتهم بهذيان بشري . رائدها السلام ؛ رائدها الاخوة ؛ رائدها العدل والمحبة والتفاهم بين ابناء البشر .

خاتمة

ان الكنيسة التي تريد الانفتاح على العالم اليوم اكثر مما مضى من تاريخها — لم تكن يوماً منكمشة على نفسها وعائشة في حجر مغلق — تريد ان تقول

للاديان انها تحترمها وتجلها وتستخلص من كتبها العقائد التي لها القوة الكافية لتحسين الانسان في حياته الفردية والاجتماعية . وهي في هذا الانفتاح تريد مكالمة الاديان كاديان والخيرين من ابناء تلك الاديان ، اولئك الذين يؤمنون بان عليهم ان يعودوا الى الله وان يسمعوا كلامــه والهاماته وان يسيروا بعاطفة عبادة صادقة نحو تكريم الخالق الذي له الملك ابداً .

لا يحق للكنيسة ان تعيش في اللامبالاة وعدم الانتباه الى ما يدور حولها من مواقف دينية عميقة ومن صرخات قلوب تتوق الى الاعالي . ففي تلك المواقف وفي تلك الصرخات قيم على الكنيسة ان ترى كيف تكون بينها وبين مواقفهــا الروحية وعقيدتها وما ينتج منها من خير للإنسان من صلة امينة صافية لا غبار عليها ولا غش فيها . اذ ان العالم في سيره نحو الوحدة لفي خطر ان تخنق عاطفته الدينية ــ وهي اساس حياته ــ سفسطات وترهات فلسفية الحادية تريد تحت ستار خلاص الانسان قتله واستعباده . فاذا ما اشتركت الأديان كلها في خدمة الروح وتسليط القيم الداخلية على عبودية المادة ساد الوفق وانتصرت المحبــة الحقيقية .

— ٢ —

مقدمة نص الوثيقة ·

« في عصرنا الحاضر حيث تتزايد وحدة الجنس البشري وتزدهر العلاقات بين الشعوب المختلفة
« تنظر الكنيسة بدقة الى الديانات غير المسيحية .

« الأمم كلها تكون جماعة واحدة لها اصل واحد اذ الله اعطى الارض مسكناً للجنس البشري ،
« ولها غاية واحدة وهي الله الذي تنمر الجميع عنايته ومظاهر عطفه واحكامه الخلاصية الى ان
« يجتمع المختارون في المدينة المقدسة التي ينيرها بهاء الله وحيث الأمم تسير بنوره .

« ينتظر كل الذين ينتمون الى ديانات مختلفة جواباً على مشاكل حياتهم البشرية الخفية التي تقلق
« قلوبهم في اعماقها : من هو الانسان ، ما معنى وما غاية حياتنا ، ما هو الخير وما الخطيئة ،
« ما هي الطريق المؤدية الى السعادة الحقيقية ؟ ما هو الموت والدينونة والثواب بعد الموت ؟ وما هو
« ذلك السر الاول والآخر الذي يفوق كل كلام والذي يغمر وجودنا ؛ منه خرجنا واليه راجعون» .

عندما تلقي الكنيسة نظرة على مشاكل الحياة او على امور لها في تطوير الانسان اهمية كبرى تحلق وكأنها الى الله تعود فتستقي من وحيه نوراً ومن كلامه قوة للمؤمنين . نظرة الكنيسة ولا نظرة النسر وتحليقها ولا تحليق النسر . فان لها في كلام الله ما يغنيها عن فلسفات الارض واحكام الحكماء وان عادت اليها مرات لتساندها ان هي رافقت الانسان في تقييم حياته او لتدحضها ان هي عبثت بالكرامة الانسانية وآلت بها الى الاستعباد . فالكنيسة تقطف الثمار حيث

تجدها ، عملاً بقول رسول الأمم : « مهما يكن من حق او عفاف او عدل او طهارة او صفة محببة او حسن صيت ان تكن فضيلة او مديح ففي هذه فلتكن افكاركم » (رسالة الى اهل فيلبي ٤—٨) . وفي هذا التفتح خدمة للانسان الذي تهديه الكنيسة سواء السبيل الى غاية حياته الله .

ففي ايامنا هذه حيث التطور الصناعي والآلي في اضطراد دائم وحيث تتوسع ارجاء التقنية وتتزايد اكتشافات العقل البشري ولا تزدهر فيه محبة الانسان لاخيه الانسان ، تقوم الكنيسة فتدعو الديانات كلها الى وضع قيمها الروحية والاخلاقية وقيمها الثقافية والاجتماعية في خدمة الانسان اذ هو في خطر جوع، لا جوع الجسد فحسب ولكن ذلك الذي ينزل بالانسان الى دركات المادة والآلة : جوع النفس التي تلتصق بالارض ولا تعود تعرف لون السماء .

. . .

في مقدمة البيان الذي اصدره المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عن صلة الكنيسة بالديانات غير المسيحية والذي أقرّ باكثرية ١٦٩١ صوتاً نستطيع ان نستخلص افكاراً ثلاثة هي محور ما في بقية النص من اعتبارات شتى .

الفكرة الأولى

تتحسس الكنيسة حياة العالم فتتردد في جوانبها اصداء افراحه وآلامه لتزملها او لتفرحها ولتحملها الى ان تجد لها الجواب الوافي وهو من صلب رسالتها . فالكنيسة ليست بمجتمع كسائر المجتمعات. هي مؤسسة الهية اعطاها السيد المسيح الاله الانسان القوة كي تجمع البشرية كلها في ملكوت الله . فلا لون لها ولا سياسة ولا غاية سوى ان تحمل للشعوب: من اي لون كانوا او الى اية سياسة انتموا او الى اية غاية ساروا ، بشارة الانجيل ، بشارة الفرح لانهم كلهم ابناء الله . هي اذاً مجتمع روحاني انساني . فيها من خصال مؤسسها ان تتفوّق على الزمن — وان كان اعضاؤها بشراً — وتحمل رسالة الروح حيثما حطّت رحالها دون محاباة ولا مداورة . تتحمل الاضطهادات وتعيش فقيرة ، وتستطيع ان تدخل بيوت الملوك والاباطرة وهي هي لا تتغيّر ، تعطي البشارة ولا تهاب احداً: تعظ ان ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، وان الانسان اخو الانسان وان على الجميع ان يعيشوا في سلام وطمأنينة وتكاتف مستمر اذ هم ابناء الله . فلا اسل لهم سوى خالقهم ولا حياة لهم الا به ، وفي الانسان من اميال واهواء لتطوح به لولا عودته الدائمة الى صوت ضمير في نبراته كلام الله ومحبته وقوة سلطانه . وبعد

ان عصى الانسان الله افتداه المسيح ابن الله بدمه الذكي ليمحو خطيئته وليعيد الى قلبه احترام ومحبة مجد الله في بنوة امينة صافية .

فبينا الشعوب اليوم يرنو بعضهـا الى بعض ، وبينا آلات الاتصالات الاجتماعية كالاذاعة والتلفزة في حرب دائمة لتكون بين الأمم وحدة فكر ووحدة فلسفة تهب الكنيسة — ولم تكن يوماً بعيدة عن اسداء الرأي بقوة في رسائل رؤسائها وكتب لاهوتييها وعن الانتصار للمبادئ التي تحترم الانسان في معتقده وضميره — وتجمع رؤساءها حاملة في كل منهم مشاكل منطقة من الارض وآلام شعب وافراح شعب لتقول كلمتها الفصل في هذا السير نحو الوحدة وهذا التزايد من الصلات الاجتماعية . واول ما بدا لها انّ تتساند في هذا العالم القوى الروحية الى حد بعيد اذ لا يجوز للديانات ان تظل منفردة متقاعسة تخدم الانسان في مواقفه الروحية فحسب: علينا ان تنير الضمائر البشرية لتسير بين تقلبات الدهر وعنعنات العقل الحائر نحو مجتمع افضل يسود فيه الروح الذي يحيي الجسد ويحيي المجتمع وبدونه تتفكك اواصر الاخوة واواصر المحبة والصداقة . فاذا ما فكر انسان اليوم ان باستطاعته ان يعيش على الارض في فردوس ونعيم بعيداً عن متطلبات نفسه ومتطلبات وجدانه وقد اغلق عليها الباب فعبثاً يصنع . فالضمير لا يموت الاّ بموت الله والله ابدي في يده الحياة والموت .

يعيش انسان اليوم في تخدير جسدي وفي اللاوعي ليستفيق يوماً فيرى ان الحياة خاوية فارغة اذ الآلة التي فيها اماله وتمنياته لا تسد جوعاً ولا تروي عطش انسان خلق ليتسلّط على الآلة لا ليستعبَد .

يعيش انسان اليوم في كبرياء وطموح . انما ذلك الكبرياء وذلك الطموح يضمانه الى الارض ، والكنيسة تريد انساناً اعظم من الارض ومتفوّقاً عليها بتلك القيم التي ائتمنه الله عليها عندما كوّنه بمقدراته الشخصية ليصير بين تقلبات الزمن نحو غاية خلاصية لا تغنيه الارض عنها الا وهي خلاصه الابدي في رؤيا الخالق وسعادة لا تزول — فطموح الكنيسة اوسع واعظم من طموح انسان اليوم لنفسه .

والحالة هذه تخاف الكنيسة على الانسان من تضييق الآفاق وتخاف على البشرية جمعاء من وحدة تقللها ، وحدة تقوم اساساتها على بعض سفسطات فلسفية او على مبادئ تحصر الانسان في ارض تزول وفي آفاق لا نور فيها . ولذا ، والوحدة الحقيقية من معطيات الوحي ومن غايات الفداء ، قامت الكنيسة وارادت ان يدوي صوتها في عالم ، وان ابتعد فيه عنها كثير من الناس ، يظل

في حنين امين الى المبادئ التي تصرخها من اعماق ضميرها وحياتها . الا نذكر ما كان لرسالة يوحنا الثالث والعشرين « ام ومعلمة » من اصداء ، ولرسالته « سلام على الارض » من ترديدات خيّرة في قلوب المجتمعات والشعوب. فالوحدة التي تسير نحوها الأمم هي من صلب رسالة الكنيسة التي لا تنفك تعلم ان الله خلق البشر كلهم وان المسيح الاله افتدى البشرية كلهـا بدمه الذكي وتعلّم ايضاً بعد بولس الرسول ان جسد المسيح السري واحد فيه يلتقي الاخوة وفيه لا تضيع شخصية الافراد بل تتكوّن وتزدهر وتنمو . فكل من عاش فيه استمد قوة وزاد قيمة ، لا كمن ينخرط في حزب لا ديني اذ يسيطر الحزب على تفكيره وعلى حياته فيصير آلة في يده وتغيب عنه شخصيته وتتوارى قيمه الروحية في خدمة لا يعلم مصيرها .

الفكرة الثانية

لن تركز وحدة الشعوب الا على اساس واحد وهو الله خالقها وغايتها . فالشعوب كالانسان الفرد ليس لها سوى اصل واحد وهو الله وغاية واحدة وهي الله . فان سارت على طرق الحياة لن تجد راحة وطمأنينة الا في الله والمبادئ الروحية التي تسنها لها شريعة الهية فيها صفاء وفيها محبة وفيها اخوة وفيها تكاتف في الآلام والافراح الى ان يجتمع الكل في حضرة الله في امان وحبور لا يزولان .

فلا معنى للالحاد اياً كان، عملياً او عقلياً . انردّ الخليقة ، مادية او عاقلة ، الى قوة غاشمة هي مبدأ الاكوان ؟ اويرضى عقل سليم بذلك ؟ انقول أن مبدأ الخليقة قوة غير شخصية ، قل الطبيعة او ما فيها من قوى تطوير وتبديل ؟ اويرضى الانسان ان يتأصل في مبادئ هو اكبر منها ويدينها ؟ انردد ان مبدأ الحياة هو الحياة بالذات او لقاء ذرات بعضها ببعض كوّنت العالم ومنذئذ تطور وصار الى ما هو عليه ؟ وما هو ذلك اللقاء وما هي الحياة تلك ، ينبوع ما نتج منها ؟ انقول مع بعض فلاسفة الالمان ان السؤال عن مبدأ الحياة لا معنى له ولا معنى للسؤال عن غاية الحياة. فعلينا ان نحيا ونموت وهذا هو المشكل بالذات . ولكن ما العمل ؟ فالعقل لا يرضى الا بفهم من هو والى اين يذهب الانسان وما معنى حياته ؟ او نجد في الحلولية حلاً لمشكلة الوجود ؟ فكيف اصير الى الزوال في قوة لا شخصية تذوب معالمها تحت ستار القوة الخالقة ؟ اذ كيف يضمحل الانسان في ذلك الكائن الذي فيه تنصهر الكائنات كلها لتكونه على حد قول بعض الفلاسفة .

والحالة هذه .كيف تستطيع الشعوب ان تسير نحو وحدة اجتماعية وثقافية

إلتم تضع لذلك اساساً مكيناً هو الله ؟ فعلى الكنيسة ان تصرخ من اعماقها ان لا وحدة الا بالخالق وان تدعو الديانات الاخرى لتقوم بايمانها وبما ينتج من ايمانها من قيم روحية سدًّا منيعاً في وجه الالحاد الذي وان انتصر زماناً فانه الى الفشل سائر . يفرض السكوت على انسان اليوم ويبكت ضميره ويقيد حريته الدينية ولكنه لا يستطيع ان يقتل الضمير الا اذا توصل فقتل الله، «انما الساكن في السماوات يضحك والسيد يستهزئ بهم» (المزمور ٢—٤) .

واذا ما انكر الانسان مبدأ المطلق الخالق السرمدي او يستطيع ان ينكر غاية حياته ؟ نعم . ولكن ايرضى الانسان بالسير نحو الانحلال والزوال وكيف يكون ذلك وروحه تفوق المادة وتجعله يعيش في جوّ تفكير وتأمل ومسؤولية لا تلجه المادة ولا من هو دون العقل .

او تنتهي الحياة في ضحكة هزء وسخرية ام في شؤم فكر ؟ وما الفرق انذاك بين كرامة الانسان ومن هو دونها ؟

ولقد زال ذلك الجدال الذي تعثرت فيه الفلسفة في اواخر القرن التاسع عشر واوائل الجيل العشرين اذ كان بعض الفلاسفة يقولون ان الروح ليست الا مظهراً عالياً من تطوير الجسد والمادة . فكيف تستطيع الروح ان تنبت على جذع المادة ومن اين للمادة تلك القوة ان تعطي ما ليس من كنهها ؟

تقوم الكنيسة لتدحض هذه الاقوال كلها ومعها الديانات الاخرى والفلسفات الروحانية فتقول : ان الله اغدق على الخليقة من نعمه اغزرها ومن عطاياه احسنها : عناية ، عطفاً وارادة خلاص يقول النص الذي نحن بصدده .

في سير الانسان على هذه الارض تعتريه مشاكل ومخاوف يتسلط عليها لو فكّر بعناية الاب السماوي تسانده وبعطفه الفياض وبارادته الخلاصية . فلا تشاؤم بعد ذلك ولكن قوة وعزماً يحملان الانسان الى الامام في تزايد دائم وتصاعد واضح .

يستطيع الانسان ان يبتعد عن خالقه باثمه وخطيئته وبذلك يدين نفسه . انما الله يدغدغه بنعمه طوال حياته ويوقظه من سباته ويعود به الى الطريق طالما فيه نسمة حياة وعرق ينبض . ولذا فالانسان في هذه الحياة مغمور بنعم الله لو فكّر ، ومغمور بعطاياه لو انتبه . وما ارادته تعالى الان يجمع الأبناء كلهم في المدينة المقدسة حيث يكون الكل في الكل ، لو سار الكل في طاعة وكرامة .

الفكرة الثالثة

مشاكل الحياة ، وهي كثيرة ، تجد الحل الصافي في العودة الى تلك العناية

الالهية . مشاكل الانسان على البسيطة هي هي ولن تتغير : اصل الحياة وغاية الانسان ومعنى الحياة ، معنى الخير والشر ، العقاب والثواب بعد الموت . انما مشكلة المشاكل : ما هو الموت وما هو معناه ؟

كلها سؤالات يطرحها الانسان على عقله الحائر وينتظر الجواب ولا فلسفة تعطي الجواب الوافي اذ تقف أحد موقفين . موقف الحائر الذي يقرّ بان هذه المشاكل ليست من صلاحياته او موقف الثائر الذي تنكسر شوكته على صخرة الغائب فيعود مطأطئ الرأس متشائماً . انما الايمان يفتح الباب على مصراعيه ويكشف الافاق النيّرة ويساعد الانسان في التقلب من يد الله التي اوجدته الى حياة تحملها اليد نفسها الى الم وفرح الى خير وشر حسب حرية شخصية هي شرف الانسان ومجده وهي ايضاً سبب تعاسته اذا ما وجهها التوجيه السيّء الى موت اي الى العودة الى الوطن الحقيقي (اولم يقل الغزالي : ان هذه الحياة هي حلم يفيق منه الانسان في الحقيقة في الابدية ؟) فتكون السعادة او العقاب؟ انما تلك اليد التي منها خرجنا واليها نعود هي يد عناية الحية لا تتركنا ولا تفارقنا فتظل تحملنا وتهدينا السبيل الى ان نعصي ارادتها فنتركها وتبقى تحرّك فينا عواطف الندامة ودموع التوبة بالألم او بالفرح فنعود نشاركها الحياة وهكذا دواليك الى ان تفتح امام ناظرينا معرفة اسمى واقوى لذلك الذي لا ينفك يتقرب منّا ونبتعد عنه اذ هو في الداخل اعمق من اعماقنا وفي روحنا اسمى من قمة الروح.

فالحياة مأساة نخوض فيها معركة : شئنا ام ابينا ، لا معركة سيف ولا معركة مال ولكن معركة اسمى وافضل ، معركة الروح وانتصارها على المادة ، معركة الروح التي نحن دوماً ، وان انفلتت من نضال الكرامة ، ترنو بهـا الى ما يغذي فيها التوق الى عل ويسد فيها الفراغ الذي تختبره وان امتلأت من الخرنوب الذي تأكله الخنازير (انجيل لوقا ١٥–١٦) .

فلهذه المشاكل تطلب الكنيسة من الديانات ان تعطي جوابها وان تحرض على تكاتف بنيها مع من يؤمنون بالله وبالقيم الروحية لخير الانسان .

خاتمة

الى هذه الاعالي يقودنا المجمع الفاتيكاني الثاني عندما يريد ان يحدد صلة الكنيسة بالديانات غير المسيحية . الى هذه الاعماق من التفكير والتأملات يسير بنا عندما يريد ان يقول كلمة الحق في تلك الصلة .

كانت الوثيقة عن اليهود في صورتها الاولى ، كما قلنا في ما سبق ، مزمعة ان تكون ملحقاً لما سيقوله المجمع عن وحدة المسيحيين وصارت الوثيقة في صورتها

الثانية والثالثة بين الظهور على حدة او بين ان تكون ملحقاً لما سيقوله المجمع عن الكنيسة من الوجهة العقائدية . فاين للسياسة من محل هنا واين للمطامع الدنيوية من دور؟

ليست الكنيسة أمّة او شعباً من شعوب الارض . الكنيسة هي مؤسسة روحانية زمنية تتجسد في الشعوب وفي الامصار المختلفة حاملة معها بشارة سامية ووسائل تحقيقها بمحبة وصفاء خدمة للانسان في سيره نحو الهدف. فتجمع ولا تفرّق ، تهدي ولا تضلل ، تسمو بالانسان ولا تذلله ، تعطيه من كنزها جدداً وعتقاً ولا تتركه محتاجاً بعضه العوز . الكنيسة تحيي ولا تميت .

ـ ٣ ـ

نصّ القسم الأول من « الوثيقة » = « الديانات غير المسيحية المختلفة »

« نجد منذ القدم عند أمم مختلفة بعض الادراك لتلك القوة الخفية الحاضرة في سير الأمور « وتقلبات الحياة البشرية ، نجد بخاصة ومرات عديدة معرفة الالوهية المطلقة ومعرفة الآب [السماوي] .
« ولقد جربت الديانات التي ترتبط بتطور الثقافات ان تجيب على هذه السؤالات بمفاهيم دقيقة « وبلغة مشذبة .

« في الهندوسية يسبر الانسان غور السر الالهي ويعبر عنه بغزارة اساطير لا ينضب معينها « وباجتهادات فلسفية نافذة ويفتش عن التحرر من ضيق الحياة بطرق تقشفية وتأملات عميقة « وبالفزع الى الله بمحبة وثقة .

« أما في البوذية فتعرف الى النقصان الجذري الذي يعتري هذا العالم المتقلب وتعلم الطريق « التي بها يستطيع الانسان ، بروح تقية وواثقة وبزهد وتطهير مستمر ، التحرر من الأمور « العابرة والتوصل الى راحة ثابتة .

« وعلى هذا المنوال تسير سائر الديانات الموجودة في العالم كله . فانها تعترض بصور مختلفة « حيرة قلب الانسان وتعرض عليه طرقاً اي عقائد او وصايا تدبر الحياة وبخاصة طقوساً مقدسة .

« فالكنيسة الكاثوليكية لا ترذل ما في هذه الديانات من حقيقة وقدسية . فهي تبشر بلا ملل « بالمسيح الذي هو « الطريق والحياة » (يوحنا ١٤/٦) والذي به صالح الله كل شيء معه . وبينا « تعلم ما في العالم من استعدادات متعددة للخلاص فانها تحترم وتقدر طرق العمل والحياة ، تحترم « وتقدر الوصايا والعقائد التي وان اختلفت في امور كثيرة عما هي عليه في الديانة الكاثوليكية تعكس « نور تلك الحقيقة التي تنير كل انسان .

« تحث الكنيسة ابناءها الى مكالمة اتباع سائر الديانات والى التكاتف معهم والى ان يحتفظوا « مع احترام كمال ايمانهم الكاثوليكي ، تلك المبادئ الروحية والاخلاقية الخيرة وبخاصة تلك القيم « الاجتماعية الثقافية الموجودة عندهم وأن يسيروا بها صعداً » .

بينا مشاكل الحياة التي عددناها مع « وثيقة » المجمع المسكوني تجندل الانسان ارضاً وتتركه في حيرة وارتياب فان العقل البشري خارجاً عن وحي الهي ينير الطريق يفتّش عن جواب بين طيّات الطبيعة وثنايات الفلسفة لينهض بالانسان الى

جوّ هدوء وأمان يسهّل عليه العيش . واوّل ما يصل اليه إدراك قوة لا يحدّد كنهها ولا تُكتشف صورتها ، تُهيمن على البشر ، تسيطر عليهم ، تسيّرهم وتخلص بهم الى الموت ، قوّة خفيّة يهابُها الانسان ولا يفزع اليها في صعوباته ، يعيد اليها كل ما يعترض اوقاته وحياته ويجعلها مسؤولة عمّا يصدر في العالم من خير ومن شر . فاذا مرض فكّر ان المرض عقاب واذا نجح ظنّ ان النجاح مكافأة . فليس له مع تلك القوّة من معاطاة شخصيّة ولا تتّسم بامارات الحياة والسلطة الواعية . فلم تتكلّم في التاريخ ولم تظهر نحو الانسان من عطف وعناية ما يجعلها في نظره الميناء الأمين . فباتت عبئاً على اكتافه يرزح تحته مرّات ومرّات يقبله ويجد فيه مساندة على سلوك طريق الخير والخدمة . وهو يعلم حق العلم انها ترقّبه وتسهر على هفواته وسقطاته وعلى آماله واعماله الخيّرة وما من سبيل الى معرفة ارادتها في التوجيه نحو هذا وذاك . فيبيت الانسان في وَلَه وينام على خوف وينهض وهو الى بعض الأمل مائل وهكذا تنقضي الأيامّ إلى ان يغوص في لجّة اللاوعي . انما يرى ايضاً ان لهذه القوّة الدور الكبير في « تسيير الأمور وتقلّبات الحياة البشرية » وكأن لها سلطاناً لا يردّ .

ولكنّ الانسان في تطويره الفلسفي الروحاني لا يقف عند هذا الحد انما يصل به التفكير المنطقي الى ان تكون تلك القوة مطلقة لا يعتريها انحلال ولا يصيبها عجز . فهي آذاك الالوهية بالذات التي تفوق التفكير وتسانده ، تسيطر على الحياة ولا تنقضها، تسيّر الاعمال البشرية ولا تجبرها . فالم تكن كذلك فما من معنى لتلك القوة التي يستطيع الانسان برُقيات ان يستميلها اليه أو أن يُبعد خطرها عنه . فالالوهية مصدر الاكوان وغايتها ، هي السبب غير المسبّب ، فيها تجد الخلقية معناها واليها مآلها اذ المادة وان علت والعقل البشري وان سما لا يستطيعان أن يفسّرا للانسان من هو وما اصله وغايته فيظل حائراً مرتبكاً الى ان يُعطيه الاله من نوره قبساً يهتدي به في الطريق . .

. . . .

لا يزال الانسان طوال حياته — وهو لا يستطيع الاستمرار في أجواء علوية — يميل الى الارض وفي قلبه جرح كوّنته الخطيئة . يرى الاله بعيداً عنه ، يتخبّط في صعوبات وآلام، يناجي من فوقه ويشعر ان في تلك المناجاة راحة وصفاءً ولكن لا ينفكّ يلمس أن الألم مبرّح وأن آفاق الدنيا ضيّقة وانه لا يتحسّس الاله دوماً ، انما لا يستطيع الانفلات منه وضميره يصرخ ان العودة الى الباطن خير حيث الالهامات الصحيحة والتوجيهات النيّرة وحيث يشعر الانسان انه بدون الاله متروك على الارض تائه وان طالت يده الثروات وامتلأت

خزائنه ذهباً وأن الحياة بدونه مجرّد كلمة. فتطيب له اذاك المكالمة مع الاله ولكن ليس له الى ذلك من سبيل فيقف في عقله حائراً ويتساءل لِمَ الاله بعيد هكذا : أليس له من صفات البشر الصفات المطلقة ، أليس فيه ما في البشر من خير وبصورة مطلقة . فكيف نرى الابوة البشرية بعطفها ومحبتها وحنانها تحتضن الأبناء وتسربلهم بالعطايا ولا نرى ذلك في الاله . ولِمَ لا يكون ذلك الإله اباً ايضاً ، للانسان معه من الصلات الوديّة والمواقف الشخصية الأمينة ما يُملئ وحدته وينير انفراده وخلوته على الأرض . وهكذا يتوصّل العقل بالتشابيه والمقابلات الى استدراج الأمور نحو وضوح اكبر يتجاوب وتفكير الانسان المنزّه عن كل غاية انانية وعن كل أثرة ، يتجاوب ومتطلّبات ضميره واعماق سريرته .

فلا حياة للانسان بعيداً عن العطف والحنان ، وفيه علاوة على عقل يرنو الى الحقّ المطلق ارادة تودّ أن تستريح في الخير المطلق ما دام فيها حياة . فهي تتألم من العزلة والانفراد في هذه الدنيا ولا تجد في المخلوقات كلّها ما يسدّ جوعها وتوقها الى خير تعود اليه اذ تظلّ حائرة الى ان تثبت فيه . ففي الآب الذي يكتشفه العقل سبباً للوجود يجد الانسان مَن يفزع اليه في كل آن ومَن في حنايا قلبه عطف يهدّئ روعه فيسير والأمل يوجّه سعيه وراء الهدف . وكيف يستطيع ان يقف في الحاد يبدو جريمة الانسان ضد اخيه الانسان اذ يريد أن ينتزع من عقله وارادته مَا هو عقله وارادته بالذات فكلاهما لا يحددان الاّ بالحق والخير ويريد الالحاد ان يلقمها خبز الارض وخرنوب الخنازير .

. . .

ليس في قدرة العقل ان يتجاوز هذه الحدود . فمن ادراك القوة الخفية الى الالوهية فالى الآب سير صعب يسهل على من تخلّى عن كبريائه وانتبه لصوت داخلي يردد متطلّبات الروح في اسمى صورتها واعمق نبراتها . فالحقائق الفردية والخيور الأرضية وان اسكتت العقل والارادة مرّة ومرّات تذكي فيهما دوماً نار الطموح الى ما فيه الخير المطلق والثبات الأمين .

. . .

ولذا فعندما تعرض الديانة المسيحية على الانسان ، كبيراً وصغيراً ، مثقفاً او جاهلاً ، غنياً او فقيراً الوحي الالهي الذي من كنهه ان يطلعنا على ابوّة الاب الذي يحبنا ويعطف علينا ويعايشنا ويسير معنا طريق الحياة هادياً وساهراً ومغدقاً النعم ، مصدر الخيور وغاية الوجود ، عندما ينبهنا ذلك الوحي الى ما في قلب الآب من حنان ومن سعة غفران ورحمة ، عندما يردد ان الآب ذاك

يأخذ ابناءه ويدغدغهم بعطاياه كما تأخذ الأم ابنها الى خديّها بمحبة لا توصف، اذاك يرنو العقل الى محبة كتلك والى حقيقة تتجاوب ومتطلباته الداخلية وتفوقها بصورة مطلقة. ولكن الانذهال يتزايد عندما يعلم ان تلك المحبة الالهية تجسّدت بابن الله وهو الطريق والحق والحياة بالذات وليس من حقيقة او حياة الآ به اذ هو كلمة الآب، فيه ما في الآب من قوة الحية ومن مجد الحي ومن مطلق الحي: متساو للاب في الجوهر الذي به كان كل شيء. اتى الى الارض ليعلّمنا ما كنّا نسيناه أن الله ابونا وليصالح الانسان مع الآب السماوي فلن يتركه يعاني من خطيئته امرّ النتائج وأتعس الأحوال. عنايته لا تنطفئ وبركته علينا الى مدى الدهر نستقي من ينبوع حنانه نوراً وقوةً وعزماً ومن سرّ محبته اللامتناهية في القربان المقدس قوتاً وغذاءً لرسالة اخوّة بين البشر ولتوحيد القوى في السير نحو الغاية الوحيدة: اللقاء في ملكوت الله في رؤيا لا نهاية لها وفي فرح لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر. (رسالة بولس الاولى الى اهل كورنتس ٢/٩).

وهذا اللقاء يبدأ على الارض في كنيسة اسّسها وهي عنوان محبته، فيها يلتقي الاخوة، اعطاها سلطانه واقامها وحدها مكملة لرسالته بين البشر مرشدة واعظة مؤنبة وفاتحة ينبوع نعمه لمن يريد، تهدي الى الحق المطلق وتشرك في الاله مؤسسها كل من اراد ان يُعطي طموحه معنى.

والمسيح الإله أعطى كنيسته روحه القدوس المنبثق من الآب والابن، الواحد معهما في الجوهر، ليسهر على نموّها وليقيها انزلاق الغلط والضلال فهو يسيّرهـا في كل حقيقة لخير الانسان ويغذّي فيها محبةً هي بمثابة حيوية تحملها على الكد والجهد وراء الوصول الى البشر كلّهم لتعطيهم من رسالتها فيضاً لا ينضب وغزارة نعم تظلّ على ممرّ العصور رمزاً فعّالا لقداسة تشهد لنفسها بالعجائب والمعجزات. وهو هو الروح القدس الذي يُعطي البشر، في حكمته الأزليّة، عقلية المسيح إلى درجة لا يستطيعون العيش الآ بعد ان يحددوا موقفهم بالنسبة اليه. ولا عجب اذا قام الفيلسوف الروسي دوستويفسكي يقول: «مشكلة الحياة واحدة وهي موقف الانسان تجاه المسيح: معه او ضده». وليست ثمّة مشاكل غير هذا المشكل الأساسي. فلسفات العصر وخزعبلات العقول الطامحة الى الأرضيّات والى الاقتصاديات تودّ ان تربط الانسان بالارض كأنه بطنٌ عليه ان يملأه من خيرات الارض لا عقلٌ لن يسكن روعه وتهدأ رجرجته الآ في مَن يعطيه الحق المطلق والخير المطلق.

انّى للعقل أن يصل وحده الى هذه الاعالي وان يَسبر غور هذه الحقائق لولا الآب بكرمه وعطفه احبّ الانسان فأعطاه ابنه فداءً عن خطيئته ووسيطاً أميناً للعودة الى الصواب وروحه كي يرافقه في ارض حزنها الخطيئة فسوّدت آفاقها ليعيد اليها نوراً فقدته واستقامة حياة خسرتها.

انّى للعقل أن يهتدي وحده بدون نعمة الله وكلامه الخلاصي وتواضع الخليقة الى طريق الحق هذا. انما ما أعطاه الله للانسان من مقدّرات يجعله « يبصر غير المنظورات منذ خلق العالم ويدركها بالمبروءات وكذلك القدرة الازلية والالوهة حتى انه لا معذرة له » على حد قول رسول الأمم في رسالته الى اهل رومة ١/٢٠ .

الهندوسية

لا يقوى الانسان على تحديد كنه الاله المطلق بمفاهيم عقليـــة محضة. فالجوهر الالهي يفوق الكلام وكل ما يستطيع الانسان ان يحمله من المعـــاني. فيستعين للتعبير عن وجود الله وصدق حياته الداخلية بصور تترك للعقل العنان في التفوق على حدود الكلمة والمفهوم فيكون للمخيّلة اذاك الدور المهم في تسهيل الخوض في بحر الالوهية. هكذا صنع افلاطون في الفصل الاخير من كتاب « الجمهورية » عندما توسّع بسرد قصّة « أور الارمني » الخياليّة، وهكذا صنعت الهندوسيّة ايضاً. ولن يفكّرن احد ان ليس للقصص والأساطير تلك في نظر الفلسفة او الدين من حقيقة. انما يستعملها العقل لتسانده في مد النظر وراء الآفاق الأرضية الى ما هنالك من حقيقة روحانية ثابتة لن يقوى على بعثها كاملة حيّة. فالهندوسية هي الشكل التوحيدي للدين الشعبي حيث كريشنا وفيشنو وسيفا وراما والإله براهما وغيرهم من الآلهة من الطبقة الأولى يعتبرون كمظاهر مختلفة للاله الواحد الشامل فيصحّ إذاك ان تجتهد في ايجاد التعابير الصحيحة او القريبة الى الصحة لتفي ذلك الاله حقّه مما يتطلّب من الخليقة من استـسلام كلّي ومن وحدة صوفية كاملة. إذ كيف يستطيع ان يعبّر العقل بمفاهيم جافّة عن وحدة الوجود وعن الاله الذي ليس بذلك الخالق القريب والبعيد في الوقت نفسه عن مخلوقاته والذي تتكلم عليه التوراة ولكنه ذلك السبب الاول الذي منه يصدر العالم واليه ينتهي فيغوص في الاله ولا يعود له كيان شخصي، فتهرع اذاك الهندوسية الى الاساطير تشرح وتفسّر وكأنها سلّماً به تتسلّق درجات الألوهة.

واذا كانت هذه الطريقة العقلية للتوصّل الى الاله فان للهندوسية طريقة

عملية لذلك وهي ان يعود الانسان بتواتر الى التأملات والتقشّف . يحصر نفسه عن العالم ويترك خزعبلاته ويعيش في عالم صحيح صادق . والمعلوم ان التقشّف يطهّر النيّة ويخضع الجسم لطموح النفس وتتكوّن وحدة اساسية بين الروح والجسد هي الوحدة التي ارادها الخالق . انما الانسان يفرّق ما جمعه الله بانتباهه الى الخارج والعابر وبعدم عودته الى الداخل حيث الخلاص . ولقد تتوصّل الهندوسية الى درجة من التقشّف لا معنى لها سوى هذا الخلاص الى الاله وفي ذلك تسلك طريق وحدة الوجود . فالحياة ليست سوى التمرين الصحيح على الولوج في بحر الالوهية الذي هو من اسس الدين حسب الهندوسية .

وهذا التقشّف الإرادي يقود الانسان الى نكران هذا العالم والى ان ليس ثمّة من قيمة للعمل البشري لتطوير الامور . فالهندوسية لا تعرف الاّ العشيرة والمتطلّبات التي تفرضها على الانسان . واذا ما همّت بعد ذلك لتقييم العمل الانساني في الحياة ففي ذلك ثورة على ما مضى من مبادئ فلسفية أرستوقراطية وثورة على ما قيل من نكران هذا العالم . وفي الحالين يظلّ التوجيه الروحاني الأساسي نحو المبدأ الاوّل .

البوذية

اول ما بدا لبوذا من مشاكل معرفة التخلّص مما يدعونه التقمّص او تلك الولادات العديدة التي لا نهاية لها . فأنّى للانسان ان يخلص من هذا الألم . فلا للتقشّف والمبالغة في الاماتات الجسدية من أهمية وليس للتمتّع بالحياة من مساعدة جديّة . فالنفع الوحيد في العودة الى روحانية اصفى وأعمق . ففي الزهد الباطني لا في الاعمال الخارجية جهال وخير الحياة .

نفى بوذا وجود كائن مطلق واقرّ بوجود آلهة وما هم الاّ عابرون كالانسان وإن سموا فلا عناية لهم بالانسان وليس له من واجبات نحوهم . ولقد توصّل بوذا الى نكران النفس الشاملة والنفس الفردية وعلّم تلاميذه ان الحياة كلّها ألم ، وان العالم لا يُعطي الفرح الحقيقي وزاد : « الولادة ألم والشيخوخة ألم . المرض ألم والموت ألم . الوحدة مع من لا نحبّ ألم وفراق من نحبّ ألم وعدم الوصول الى ما نشتهي ألم » . والحياة ليست ألماً الاّ لاننا نشتهيها وما التقمّص سوى نتيجة تلك الشهوة . فاذا اراد الانسان ان يتخلّص من ذلك الألم فما عليه الاّ ان يطفئ فيه جذوة الشهوة وارادة الحياة . وعندما يصل الى هذا الموقف يدخل في النيرڤانا ولا يعود يتقمّص . والنيرڤانا هي تلك الغبطة التي يلجها الانسان ولم تعد روحه تتحسّس نفسها ، هي الراحة الدائمة بعيدة عن كل همّ وشوق وتوق .

لقد ادخل بوذا الشفقة في فكرته عن الحياة . وإن هي الا ان يرنو الانسان الى الألم الذي يحتمله صاحبه دون ملل ولا انقطاع . فطلب اذاك من رهبانه ان يكون لهم امام الحياة موقف عطف . وهاك ما قاله لهم : « ايها الرهبان اليكم ما يجب عمله : لا يضطرب قلبكم من شيء . لا تفوهوا بكلمة سوء . كونوا رحماء واصحاب عطف وقلب محب دون خداع . فليصل عطفكم الى كل فرد من افراد البشرية وبهم يصل الى الكون بكامله ، صافياً من كل حقد وضغينة ». فما من تجمع القوى الروحية التي يهيأ العقل الى ذلك . فلا تأمل بدون تمارين روحية تطهيرية . ولذا فالنقيّ القلب والمملوء عطفاً هو ذاك الذي يستطيع الزهد بالدنيا . ومن وصل الى هذا دخل في الدرجة الرابعة من الرؤيا وكان له ان يرى حياته كلّها في ماضيها عبر العديد من الولادات التي مرّ بها . والدرجة الرابعة تلك هي ان يسهر الانسان بكل ما فيه على السلام الباطني ولن يقترب منها الا اذا عاش فضائل ثمانية : ايمان طاهر ، ارادة طاهرة ، كلام طاهر ، عمل طاهر ، حياة طاهرة ، توق طاهر ، تفهّم طاهر ، تأمل طاهر . والعمل الطاهر ليس سوى الامتناع عن العمل السيء ولقد قال بوذا : ثريّ الافراح والحرّ من الاحزان مَن ليس له عزيز في هذا العالم » .

من وراء هذا الموقف يتراءى دوماً نكران العالم . ولكن كيف يستطيع بوذا ان يوفّق بين هذا النكران وبين الحياة العملية التطهيرية . فاذا رفض للاعمال قيمتها يظلّ في السلبيّة الغير البناءة انما ارادته الأساسيّة هي الكمال الباطني . وفي هذا فرق جذري بين تعليم بوذا وتعليم المسيح الاله يهيمن على سائر الفروق ما بين الاثنين : فبينا بوذا ينكر العالم ويميّز بين العالم المادي والعالم الغير المادي ، يأتي المسيح الاله ويرذل العالم الطبيعي السيّئ ويعيش في انتظار تبديله وتغييره في عالم فائق الطبيعة كامل . فاذا ما أنكر المسيح العالم فانه يستند الى مثل عالٍ على الصعيد الأخلاقي يحرّك العالم ذاك الى قمّة الجمال والخير .

. . .

ولذا ، وان دُهش من دخل في اعماق البوذية واعتراه العجب امام عظمتها وقوتها الروحانية الكبيرة في تاريخ البشرية فانه يشعر بالفرق الأساسي الكلّي بين سكياموني والمسيح الاله . واذا ما تعمّق في هذا الفرق صار الى تفهّم الحدث المسيحي الفريد . فللمسيح موقف امام الحياة لا يجاريه فيه احد ؛ وهو وحده البدء المطلق للحياة الانسانية في ايمانها ورجائها ومحبّتها . واذا ما قلنا هذا فلا ننكر ما بين المسيحية والبوذية من الشبه يعجب له العقل . فهناك نصوص وكأنها مقتبسة الواحدة من الأخرى . ولكن العجب يزول عندما يرى العقل النتائج التي آلت اليها الديانتان اذ التقارب الكلامي لا طائل تحته وهو سطحي ومبهم .

والكلام في الاجواء المختلفة يحمل بين طيّاته ثروة روحية تفسّرها العقلية والروحانية والوضعيات الاجتماعية المختلفة . وما علينا الاّ أن نأخذ مثلاً يردّد هنا وهناك المفردات عينها انما تحمّلها الأجواء هنا وهناك المعاني والتوجيهات العديـــدة المغايرة .

من بين التشابيه والامثال التي استعملها بوذا والتي تنبي عن ارادة تعمّق وتفكير لا يتوصّل اليه العقل مثل شجرة الحياة التي ضمّنها المعاني الثرية :

فالشجرة ترمز في البوذية الى الانسان الذي عليه أن يجمع قواه الروحية فيعود الى الباطن لارواء عطشه اذ يغوص في لجج الوجود ولا يعود يأبه لتطوّر الكون او للتكاتف مع الانسان اخيه وينقطع عن الدنيا بزهد او قلْ بموت إرادي فيه روعة وفيه عظمة .

امّا في المسيحية فالشجرة ترمز الى الحياة التي تنبع من قلب الله وتشرك الانسان بحيوية تسمو قواه الطبيعية وتقوده الى الخلاص . فهي تارة شجرة الحياة وتارة شجرة الألم المخلّص ، وشجرة الأمل والرجاء وشجرة الأسرار ، منبع النعم والبركات .

. . .

لا فرق في البوذية بين شجرة الحياة وأية شجرة أخرى اذ انها تنبت وتحيا في عالم من العوالم العديدة .

امّا في المسيحية فشجرة الصليب وحيدة لا تجاريها شجرة اخرى وهي نور وهي امل واليها يسند الانسان رأسه فتأتيه بالتعزية وتقوده الى متابعة السير حثيثاً آمناً . فانه لا يحمل الألم وحده انما يشترك هو بألم من خلّص العالم على خشبة الصليب التي حملت شمس الحقيقة وخلاص البشر .

. . .

في البوذية يغوص البوذا بحر اللاشخصية ويذوب في الكيان الشامل ولا تعود معالمه واضحة ثابتة .

اما في المسيحية فالمسيح يسود الكون وتظلّ شخصيته الواضحة الإمارات جاذباً قوياً ، يسوع الناصري ، انسان واله الى الأبد ، في يده الاكوان وفي قلبه محبة صافية وخلاص العالم . فهو محور العالم ومحور التاريخ ، لا نقطة في مسافات ارضية ، هو الحدث الوحيد الذي به وبالاتصال به تفهم الحوادث الأخرى : هو قمة الروح ، هو الجلجلة ، هو الذبيح الذي اظهر من التواضع حتى الموت ما يبهر العقول ويجعلها مدى الأجيال في تأمل أمين وارادة التمثل به لا تشوبها شائبة . ولقد ركّز صليبه هناك ، ذلك الصليب الذي عليه دارت

المعركة الكونية بين روحين وعقليتين وارادتين، فكان بالموت انتصار الروح وبالموت انتصار الله . وكان الخلاص .

. . .

هذا شيء من كثير مما يتعلّق بالبوذية .

موقف الكنيسة الكاثوليكية

فالكنيسة الكاثوليكية تذكر هاتين الديانتين وتحترم ما فيهما من حقيقة وقدسيّة وتردد ان كل حقيقة ، اينما وُجدت ، انعكاس الحقيقة المطلقة الازلية ، حقيقة هي المسيح الاله بالذات ، كلمة الآب والاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ، ذلك الاقنوم الذي تجسّد محبة بالبشر ومكث بينهم واعطاهم الحياة التي كانوا خسروها بالخطيئة . فعلى ابناء الكنيسة حيث وجدوا ان يتكاتفوا للخير مع اهل الخير خدمة لخير البشرية المتألمة والتي تريد ان تفترسها إلحادية عمياء . ففي تلك الديانات مبادئ روحية واخلاقية ، ثقافية واجتماعية اذا تلاقت مع ما يحويه الدين المسيحي من قيم عالية ومبادئ بنّاءة كانت حاجزاً امام الالحاد وسنداً للانسان .

— ٤ —

نصّ القسم الثاني من « الوثيقة » : « المسلمون »

« تقدر الكنيسة ايضاً المسلمين الذين يعبدون الاله الواحد الحي القيوم الضابط الكل . خالق السماء والأرض ، الذي كلم البشر والذي لأوامره الصمدانية تجب الطاعة التامة كما اطاعها ابراهيم . ذلك الذي بإيمانه يتصل الايمان الاسلامي . فان المسلمين يكرمون المسيح كنبي وان لم يعترفوا به كاله ويجلون امه مريم البتول. ويطلبون مرات شفاعتها بتقوى. ينتظرون يوم الدينونة عندما يجازي الله الذين يقومون من الموت . وبعد ذلك فانهم يكرمون الله بالصلاة والزكاة والصوم ويجتهدون وراء حياة اخلاقية فردية وعائلية واجتماعية طاعة لله .

واذا ما قامت في ما مضى من التاريخ بين مسيحيين ومسلمين تفرقات عديدة وعداوات فان هذا المجمع المقدس يحض الجميع على نسيان الماضي وعلى الاجتهاد الصادق للتفاهم المتبادل وعلى ان يسهروا في خدمة الكل على العدالة الاجتماعية والمبادي الاخلاقية الصحيحة وبخاصة السلام والحرية وان يسيروا بها صعداً » .

حفظ التاريخ ذكر المناوشات العديدة والخلافات الكثيرة التي قامت على مرّ الايام بين المسيحيين والمسلمين . ولقد آلت كلّها الى تصلّب الموقف عند الفريقين : الى الخوف المتبادل والى اللامبالاة العقائدية في خير ما في الديانتين فتحجّرت القلوب الاّ عند العدد اليسير وكأن المبادئ الروحية التي تشترك فيها

الاثنتان لا قرابة بينهما ولا خير من التكاتف في اقرارها والاستناد اليها في محاربة الافكار الهدّامة الى ان قام منذ سنين قليلة عدد من الرؤساء الروحيين بينهم البابا بيوس الثاني عشر وغيره ينادون بضرورة العمل الموحّد في سبيل دحض خطر المادية الطاغية . وها هو المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في « وثيقته » المأثورة يدعو الى نبذ الحقد ونسيان الماضي والعودة الى التفكير والتأمل على المسيحيين والمسلمين يعملون في المستقبل القريب والبعيد على تقييم المبادئ الروحية الموجودة عندهم فتكون سبب تكاتف وتفاهم وعمل جدّي .

ولا غروَ فالمجمع يستخلص من العقيدة الإسلامية عناصر طيّبة فيها قوّة روحية صادقة على الكلّ ان يفهموها ويأتمروا بما تسنّه لهم من تعالي فوق الماديات ومن سير في طريق خلاص الانسان من ربقة المادة وعبوديتها . وفي سرد هذه العناصر عبرة لمن اعتبر .

. . .

تقول الوثيقة أوّل ما تقوله ان المسلمين يعبدون الإله الواحد القيّوم الضابط الكلّ خالق السماء والارض. فهو اذاً إله شخصيٌ لا تضيع شخصيته وراء فكرة مجرّدة او سلطة غاشمة او استبداد تعسّفي وانما ينظّم الكون ولا يدعه في فوضى ، يوجه الانسان نحو غايته السامية ، يسانده في اعماله الخيّرة وبدونه لا تستطيع الخليقة أن تأتي بحركة اذ يتسلّط على الحرية ويوجهها ولا تعبد فيه الاّ الإله السرمدي المنزّه الذي لا اشراك فيه والذي صفاته لا تُحصى . فاذا ما تكلّم امر وامره مطاع ، انما يرأف بالانسان في عظمته وحقارته .

فالانسان يسير في هذه الحياة وقد اثقلت كاهليه حتميّة الايام ويذوق في اختيار حريته الإسلام لله ويتعلّق به بايمان على شبه ايمان ابراهيم الخليل الذي آمن وتبرّر بالايمان . وبهذا نرى الصلة الوثيقة التي تربط المسلم ، اليوم كما والبارحة ، بابراهيم وبالله .

ايمان المسلم يتغذّى من كلام كتابه الديني ، القرآن ؛ فيجد فيه ذكر الله والأسس الدينيّة الأصيلة ومن بينها احترام اهل الكتاب ومحبة الفقير . فيتطوّر المؤمن في التأمل ويقف مليّاً عند بعض الكلمات ـــ الحقائق التي تهديه الى الله وتشعل في قلبه عواطف التواضع والاستسلام يعود بها الى خالقه ويعرض عليه ما يضايقه من مصائب وهو يعلم ان كلّ هذا من الله صدر ومن الله نبع وهو خير للخليقة .

. . .

في الإسلام عودة الى عيسى بن مريم والى مريم بالذات . يحترم الدين

الاسلامي عيسى ويعتبره نبياً انما لا يُقرّ بألوهيته وان تعدّدت المفاهيم التي تنبّه العقل الى سموّ عيسى فوق الانبياء اذ هو من روح الله على حدّ قول القرآن نفسه . انما تأتي السورة ١١٢ وتؤكد الوحدانية الالهية بمفهومها الفردي التي ترذل من الالوهة كائناً من كان لتضع الإله في انفراد كلّي وتنزيه مطلق غير ذلك الذي يفهمه الدين المسيحي اذ يتكلّم على الثالوث ويقرّ بوحدانية الطبيعة الالهية وتثليث الاقانيم .

والإسلام يكرّم عيسى النبي كما يكرّم سائر الانبياء انما يعطيه في القرآن من الميزات ما لم يحظّ بها نبي غيره ، تلك الولادة العجيبة وتلك القداسة الفريدة وتلك الخوارق والمعجزات التي اجترحها .

لقد كوّن عيسى أمّةَ الكتاب يحترمها أهل القرآن اذ القرابة بين المسيحيين اتباع عيسى والمسلمين بيّنة واضحة ولذا فلا يجوز ، اذا ما هبّت في التاريخ عواصف وأعاصير فرّقت بينهم ، أن تدوم تلك التفرقات . وعلى الفريقين ان ينبذا كل حقد ويعودا الى حكمة وانصاف ويتكاتفا في التفتيش عن العدالة الاجتماعية والمبادئ الاخلاقية الصحيحة وبخاصة عن السلام والحرية . إذ ذاك تنمو في المبادئ التي تقرّب بين الفريقين أخوّة نحن بحاجة اليها اليوم ؛ أخوّة مبادئ صحيحة تخدم كرامة الانسان وحريته فلا عبد ولا معبود ولا سيّد ومسود . هي مبادئ تدعو اليها المسيحية والاسلام . فـلا غروّ اذا تصافح الاخوة وعاد اليهما بعد النفور الذي غذّاه التاريخ التفاهم والصفاء . وفي هذا التصادق خير للبشرية جمعاء وقوّة تصدّ تفشّي المبادئ المادية الإلحادية التي تؤول نهائياً الى استعباد لم يسبقه استعباد . فالدين لا يفرّق . واذا ما تحجّرت بعض المواقف التاريخية التي كان سببها خلافات سياسية وعقائدية مباشرة فعلى الفريقين أن يعودا اليوم الى الايمان الصحيح بالله يجعلها في سير موحّد نحو غاية يصعب رذلها — وهي الله بالذات — كي يتمّا سوية في مصافحة وتعارف خدمة البشرية فيبتعدا عمّا يفصل ويفرق ويجتمعا في ما يقرّب إن دينياً وإن اجتماعياً .

. . .

وبعد ذكر عيسى بن مريم يجدر بنا ان نقف هنيهة عند مريم التي يجلّها القرآن وقد اعلى مقامها فأقرّ بأنه لم يمسسها رجل في ولادة ابنها وانها ارفع من كل نساء الارض وانها ولدت عيسى ذلك النبي المتعالي في اعماله وحياته . ولكن القرآن لم يفرق بين مريم اخت هارون التي يتكلّم عليها في سورة مريم وتلك التي انجبت عيسى بصورة فائقة . فراح المسلمون يجلّونها ويكرّمونها ويطلبون شفاعتها بتقوى ..

ولقد يعيش المسلم ايضاً بانتظار يوم الدينونة وهذا ما يجعله يتحسّب لملاقاة ربّه اذ تُجازى الأعمال الخيّرة خيراً وتعاقب الأعمال السيئة شرّاً . واوضح القرآن سبل الحياة التي على المسلم اتباعها ليصل الى الهدف مطمئن الضمير فيدعوه الى الصلاة والزكاة والصوم وفي هذه الامور الثلاثة خلاصه اذ يعود الى ربّه ويتفتّح على قريبه ويوجّه جسمه بالتضحية والصوم الى نسيان خيور الارض والتعالي فوق حطامها الى ما لا يزول فيظلّ اذاك في تفكير ووعي واجتهاد الى الأحسن .

. . .

هذه هي النقط الايجابية التي تستخلصها « الوثيقة » من الدين الاسلامي وترى فيها آمالاً في أن تعود كلّها بالخير على التضامن الروحاني بين الأديان في العالم ضد الالحادية المتصاعدة ولإقرار القيم الروحية في خدمة الانسان .

— ٥ —

نصّ القسم الثالث من « الوثيقة » : « اليهود »

« ان المجمع المقدس ، بينا يتقصى سر الكنيسة ، يتذكر الرباط الذي يربط شعب العهد الجديد بأبناء ابراهيم .

فكنيسة المسيح تقر بروح طية بأن ايمانها ودعوتها بتأصلان حسب إرادة الله العميقة الخلاصية في آباء العهد القديم ، في موسى والأنبياء وهي تعترف بان المسيحيين ، وهم ابناء ابراهيم بالايمان ، تشملهم دعوة الآباء نفسها وان خلاص الكنيسة يرمز اليه روحياً خروج الشعب المختار من ارض العبودية . ولذا فانه ليس باستطاعة الكنيسة ان تنسى أنها قبلت وحي العهد القديم من ذلك الشعب الذي تنازل الله واقام معه بعطف لا يصوّر العهد القديم وأنها تقتات من أصول الزيتونة الخيرة التي عليها طعمت زيتونة الامم البرية . فالكنيسة تؤمن ان المسيح ، وهو سلامنا ، صالح بصليبه اليهود والأمم وجعلهم واحداً .

والكنيسة تتذكر دائماً كلام بولس الرسول عن اليهود اقربائه الذين « لهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ورؤساء الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد » (رومية ٩ / ٤—٥) ابن مريم البتول.

انها تتذكر ايضاً ان من الشعب اليهودي ولد الرسل أسس الكنيسة وأعمدتها وغيرهم تلاميذ كثيرون بشروا العالم بأنجيل المسيح .

ومع ان اكثرية اليهود لم يتقبلوا بالانجيل فان الله — حسب شهادة الرسول — لا يندم على عطاياه وعلى دعوتهم وهو يحبهم من أجل الآباء .

والكنيسة تنتظر مع الأنبياء ورسول الامم الى ذلك اليوم الذي يعرفه الله وحده فيه الشعوب كلها تبتهل بصوت واحد الى الله « وتعبده بكتف واحدة » (صفنيا ٣ / ٩) .

ولما كان التراث الروحي المشترك بين المسيحيين واليهود عظيماً فان هذا المجمع المقدس يريد ان يوصي ويساعد التعارف والاحترام المتبادل بينهما واللذان يتمّان بالدروس الكتابية واللاهوتية وبالمحادثات الأخوية .

وبينا المجمع يرذل بقوة الاهانات المصوبة للناس اينما كانوا ، فانه يتذكر هذا التراث ويرثي ويرذل الحقد والاضطهادات ضد اليهود إن كانت في ما مضى او في اوقاتنا الحاضرة .

ولذا فعلى الجميع ان لا يعلموا شيئاً ، لا في التعليم ولا في الوعظ ، يكون في قلوب المؤمنين حقداً على اليهود او ازدراء بهم وان لا يكون الشعب اليهودي تلك الامة المرذولة او الملعونة او قاتلة

الاله . فالذي تم يوم تألم المسيح لا يجوز ان تنعت به الشعب المعاصر للمسيح وبأقل برهان أن ننعت به الشعب الذي يعيش اليوم . فالكنيسة علمت وتعلم ان المسيح تألم ومات بملء ارادته المحبة لخلاص البشرية كلها . فعلى الواعظين اذاً ان يبشروا بصليب المسيح كرمز محبة الله الشاملة . وينبوع كل النعم » .

. . .

تتكلم الوثيقة بروح دينية صافية على علاقات المسيحيين باليهود وكأنها فتشت عن المفردات التي تدل اكثر ما تدل على قرابة روحية وصلات عميقة تتأصّل في الايمان وفي تلك الرموز التي عاش منها الشعب اليهودي السنين الطويلة دون ان يُعطيها حقيقة واضحة ثابتة والتي لا تزال تعيش منها الكنيسة اليوم وقد اعطتها قيمة ومعنى . وانها لتلحّ في التأكيد ان تلك القرابة هي رباط وثيق يربط شعب العهد الجديد بابناء ابراهيم وان ايمان ودعوة الكنيسة يتأصلان حسب إرادة الله العميقة الخلاصية في آباء العهد القديم في موسى والانبياء . ولذا فان الكنيسة اذا ما ارادت فهم نفسها اضطرّت للعودة الى اصلها والى تلك الجذور التي تربطها بالشعب الذي مهد لمجيئها السبيل مع ما في كلام المسيح الاله واعماله التي اودعها اياها من روح جديدة وآفاق واسعة وآمال روحية حسب قول القديس ايرناوس : المسيح جدد كل شيء بمجيئه .

فالكنيسة والشعب اليهودي يشتركان بالعهد القديم ولا أساس لكل محاولة يراد من ورائها اخراج اسرائيل من الكتاب المقدّس . اذ ما نراه في الشعوب المعاصرة له من مؤسسات وآراء ومفاهيم تشبه ما نجده في اسرائيل ليذبل أمام الروح التي تحيي كل ذلك في الكتاب المقدّس دونمـا ريب . فليست الكلمات او تكاثر المفردات المتشابهـة التي تجعلنا في حيرة فهـذا لا يحمل العقل على الاضطراب . انما كل ما نجده من روحانية عالية في كلمات وآراء ومفاهيم اقتبسها الانبياء شكلاً للتعبير عن الوحي لتصير وهاجة من نور علوي صاف . اللهم اذا كان العهد القديم دليلاً الى العهد الجديد بالمسيح . فانه اذا توقف عند نفسه دون الاقتناع بضرورة التدليل ليظلّ مجموعة قوانين وشرائع متحجرة أمام الصليب . فهناك دعوة شخصية تكوّن الصلة العميقة نشتمّها في العهد القديم وتتوضح امامنا في العهد الجديد كصلة بنوّة مع الله في المسيح يسوع . فاسرائيل والكنيسة يشتركان كشعبين بالبنوّة تلك . ولكن ما اجمل ذلك التعاقب بينهما الذي يعبّر عنه بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومة إذ يفسر لنا سرّ هذا التبدّل الى ان يجمعنا في محبة الهية لا نهاية لها .

ولقد نفهم ذلك لا بأن ننفي عن كل ما صدر في اسرائيل حقيقته ووضعيته انما لم تكن تلك الحقيقة الا في المسيح العتيد . وعندما اتى المسيح وسار نحوه

اولئك المخلصون الذين ارادوه الهاً ومعبوداً ففيهم تكملت تلك الحقيقة الموجودة منذ البدء والتي تدلّ على وجود المسيح ووجود الكنيسة نفسها فيها . ففي كل زمان ومكان : كما يعلم القديس توما الاكويني[١] : كان للعهد الجديد من هم له. أوليس الايمان بالمسيح ، لا الايمان بالله فقط ، الذي خلص ابراهيم. فالمسيح اذ هو النهاية والياء المطلقة لكل شيء فكأني به حاضر في طيات التاريخ يوجه وينظم وبهذا فهو ايضاً الألف والاساس لكل شيء . فيه يتّحد اليهود والوثنيّون ليخطوا وثيقة ولادة الكنيسة اذ من الاثنين صنع شعباً واحداً ، من الاثنين جبل انساناً جديداً واحداً ، من الاثنين كوّن جسداً واحداً وجمع الاثنين في روح واحد »[٢].

ونسمع بولس يردد ايضاً : « العلّ الله رفض شعبه . حاشى ...واماً من جهة الانتخاب فهم أحباء من اجل الآباء لأن مواهب الله ودعوته هي بلا ندامة »[٣] .

وعلى هذا المنوال فخروج الشعب اليهودي من ارض العبودية يرمز الى خلاص الكنيسة من حيل العالم الذي يحاول قتلها فتظل أمينة وقد قوّتها كلمة الله التي استلمتّها منه دليلاً على مساعدة الهية تساندها في سيرها إلى هدف يجعلها مكمّلة رسالة واحدة جذورها تغور في ارض الله الى ما هنالك من ايام ودهور . فمن مريم البتول ولد المسيح الاله وقد اعطته نفسانية بشرية شبيهة بنفسانيتنا وأحاطته بعناية جعلت من يسوع ابن بلده ووطنه يحمل معه وفيه نور اهله واقربائه ولكنه يعطي من فيض حكمته العلوية سرّ البقاء لكل ما يصنعه.

وهناك الرسل الذين انحدروا من سلالة يهودية وهم اعمدة الكنيسة كما يسميهم بولس . غمسوا الرسالة المسيحية في دمهم فاستشهدوا للمسيح وصار ذلك الدم بذوراً لولادة مسيحيين آخرين. وغيرهم كثيرون ممن ساروا في اوائل الكنيسة الى ملاقاة ذلك النبي الذي أتى ليتمّم في نفسه كل النبوات ويعبّر بذلك عن رسالته الالهية .

...

واذا ما عيّرنا اليهود بموت المسيح فلا نعيرهم ، تقول الوثيقة ، كشعب سخط عليه الله من جرّاء ذلك وكأن التاريخ يحمله وصمة الصلب . فهناك زمرة من الاشقياء طاعوا أرباب الحكم في تلك الايام وارتكبوا الجريمة وما هم

١) Iª IIªᵉ, q. 98, a. 1. ad 4
٢) افس ٢/١٤-١٨ .
٣) رومية ١١/ ١و ٢٨ .

في ذلك الا ممثلو الانسانية الخاطئة جمعاء . فآدم منذ ان ارتكب الخطيئة الأصلية التي جنحت بالطبيعة البشرية الى طرق ملتوية هو صَلّبَ المسيح وابناؤه كلهم الذين يتوارثون الخطيئة الأصلية ويرتكبون الخطايا يمثلون على الجلجلة بزمرة الاشقياء أولئك . فالمسيح اذا قتله اليهود هو هو يتقدمة باطنية عفوية ارادية وبحب غير متناه لخلاص البشر قدم نفسه عن الانسان الخاطئ ليمحو الخطيئة ويساعد البشرية بذلك الدم المسفوك – عنوان النعمة والخلاص – الى العودة الى الطريق السويّ . فلا الشعب اليهودي ، معاصر المسيح – تقول الوثيقة – ولا الشعب اليهودي الذي يعيش اليوم قتل المسيح كشعب . وزمرة الاشقياء الذين ارتكبوا الجريمة كانوا من ذلك الشعب الذي اختار ابن الله ان يولد من صُلبه .

لقد ردّد هذا مرارًا في جلسات المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني كل الآباء الذين تطرقوا لهذه الوثيقة والحوا بان لا توصف تدخلاتهم تلك الا روحياً ودينياً لا سياسياً . فان العالم اليوم يتطوّر بسرعة عظيمة . ومن الخير ان يعود الانسان الى فحص ضمير وتبكيت نفس على امور حجرها التاريخ . أفلا نستطيع ان نجدّد نظرنا المعتاد الى هذا او ذاك . اوَليس من الحرم بدرجة ان لا يعود باستطاعة الانسان ان يصلح خطأ ارتكبه في ما مضى .

...

ولهذا فالمجمع المسكوني يرذل كلّ اضطهاد وكلّ هزء بقــوم وبشعب من شعوب الأرض ويطلب الى ابناء الكنيسة الكاثوليكية ان يحترموا الشعب اليهودي وأن لا يضمروا الحقد والازدراء . فعليهم ان يخلقوا جوّ التعارف والاحترام المتبادلين وذلك على صعيد الدروس الكتابية واللاهوتية والمحادثات الأخوية . وبذلك تقوم تلك المحبة التي بدونها لن تستطيع البشرية ان تعيش بصفاء وسلام .

...

وهذه الدعوة الى المحبة بالبراهين التي سبقت ليست جديدة في الكنيسة . انما على الكنيسة نفسها ايضاً في ايامنا ان تتجدد فتغير لهجــة صلواتها ومجادلاتها ومكالماتها مع الناس – وهذا ما صنعه يوحنا الثالث والعشرون وبولس السادس المالك سعيدًا – وهي القيّمة على ما في البشرية من قيم انسانية روحية تدافع عنها وتُعلن للملأ ارادتها الجبارة في التأثير على سير العالم نحو غدٍ افضل أخوي وروحاني .

— ٥ —

نصّ خاتمة « الوثيقة » : « الأخوّة الشاملة بعيدة عن أية تفرقة عنصرية »

« لا نستطيع ان ندعو الله أب الجميع اذا رفضنا أن نعامل كاخوة بعض الناس الذين خلقهم الرب على صورته . فصلة الانسان بالله الآب وصلته بالانسان أخيه ترتبطان بقوة : فمن لا يحب لا يعرف الله .

فلا اساس إذاً لأية نظرية أو موقف يفرق بين رجل وآخر ، بين شعب وآخر في ما يتعلق بالكرامة الانسانية والحقوق الناجمة عنها .

فليمتنع الجميع وبخاصة المسيحيون عن كل تفرقة بين البشر وعن كل جور بسبب العرق او اللون أو الطبقة الاجتماعية أو الدين . والمجمع ، وهو اذ يقتفي أثر الرسولين القديسين بطرس وبولس ، يدعو بالحاح المسيحيين كي يكون « تصرفهم بين الأمم حميداً » (١ بطرس ٢/١٢) قدر المستطاع وكي يحافظوا على السلام مع الجميع فيكونوا حقاً ابناء الآب الذي في السماء . »

. . .

بعد ان تكون الوثيقة وصلت بنا الى هذه النقطة من البحث والاشارة الى ما يجب تتميمه بغية التقارب بين الشعوب تقف هنا فتوسع الآفاق وتتوجه الى الانسان كانسان وتطلب اليه ان يحترم أخاه الانسان وان لا يرضى بتفرقة تتأتى عن العرق او العنصر او اللون . وما ذلك الا لأن البشر كلهم من صنع الله اب الجميع ولأن في كل انسان صورة الله ومثاله . ولكل واحد حقوق وواجبات لو استوعبها الكل لصارت اساساً لبناء عالم يعيش في محبة صادقة وأخوّة . ولكن « من لا يُحبّ لا يعرف الله . »

نرى كيف تضع الوثيقة صلة وطيدة بين المحبة والمعرفة . فلا يكفي ان تكون محبتنا كلامية عابرة . ونحن اذا ما أردنا ان نعرف الله علينا ان نحبّ مع كل ما في هذه الكلمة من قوة وواقعية . فلا يجوز لنا ان نكذب فنقول : إننا نحب الله ولا نُعطي قلبنا للانسان اخينا . هذه اقوال يوحنا الرسول في رسالته وهذا التعليم تظلّ عليه الكنيسة،ما دام فيها حيوية لتردد ان الله محبة ومن اراد ان يتبعه عليه ان يحبّ قريبه وقد اعلن بولس الرسول ان محبة القريب هي علامة محبة الله . والمحبة شاملة لاتستثني احداً وفيها ما قاله ايضاً بولس في ذلك النشيد الرائع في رسالته الى اهل كورنتس الاولى الفصل الثالث عشر : « المحبة لا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ . . . ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحقّ » .

ان الحياة الدنيا تدلل على ما في الانسان من حسد وحقد ، من انانية وكبرياء ، إن على الصعيد الفردي او الجماعي . فإلَم يعد الى ضميره والى ربه فكيف يستطيع اذ ذاك ان يتعالى فوق التفرقة العنصرية التي تهدم كياناً روحياً وتمحو من الانجيل ومن الضمير اننا ابناء الآب الذي في السماوات .

ولذا فان التفرقة العنصرية تلك لتنتج الجور والظلم والاستهتار بكرامة

الانسان وحقوقه وتترك العالم على فوهة نار تندلع كلما تجاوز الانسان حدوده بهضم حقوق تعود لأخيه الانسان . والكنيسة ام السلام والمحافظة على السلام تدق دوماً ناقوس الخطر لا لأنها تخاف على نفسها ولكن لأنها تحمي الانسان من اسباب الفناء وتريد له سلاماً وطمأنينة كي يعيش حياته الأرضية في مأمن من كل حرب وفي عودة مستمرة الى الخالق .

ولقد كلم بولس السادس المالك سعيداً رؤساء الكنيسة الروحيين وبواسطتهم العالم كله في اواخر نيسان الماضي في رسالة عامة وجهها اليهم بمناسبة حلول شهر ايار فقال : « ان تفشي الاضطرابات وعدم الاستقرار التي تعانيها أمم عديدة يشكلان الباعث الثاني لرسالتنا هذه . ان خير السلام الذي لا يعلوه خير هو اليوم في خطر شديد . فهناك مشاحنات متزايدة بين الشعوب في مناطق مختلفة من المعمور تتفاقم بصورة مخيفة وان امثولة الحربين الاولين اللتين أسالتا الدماء الغزيرة في العالم لم يتعظ بهما البشر . فنراهم يتسلحون من جديد — وفي هذا الخطر العظيم — ولا يأبهون للوسائل التي تزيل من النفوس روح التوتر والتفرقة ، ما يجعل بعض الشعوب تعيش تحت كابوس ألم لا يوصف ينجم عن اضطرابات وحروب عصابات وخصومات مسلحة تتسع يوماً أثر يوم وتتأزم منذرة باندلاع حرب رهيبة .

« وحيال هذه الاخطار المروعة التي تهدد العيلة البشرية فاننا ، ونحن واعون ، واجبنا كراع اعلى ، نعلن قلقنا وخوفنا من ان تنقلب هذه الخصومات حرباً دموية .

« ولهذا ، فاننا نتوسل الى الحكام وولاة الأمور الا يرفضوا توق البشرية جمعاء الى السلام وان يفتشوا عن الوسائل التي تؤمن سلاماً هو الآن في تدهور . فلا يحجموا عن توطيد الصلات والمفاوضات بين البشر الى اي طبقة او رتبة انتموا ، وفي اي زمن ووقت كانت ، وان يمنعوا استعمال السلاح الخطر وما ينتج عنه من مصائب وخيمة ، زمنية وروحية وخلقية ويعتمدوا الطرق التي هي طرق الحق ويفقهوا كل توق صادق الى العدل والسلام وليؤيدوه حتى يجعلوه ذا فعالية وليثقوا بهدف الارادة الحسنة الخيّر حتى يستقرّ العدل والحق .

« آه ! فاننا تجاه وضع مؤسف كهذا ، نلمس بحزن شديد ان احترام طابع الحياة البشرية المقدس والذي لا يجوز انتهاكه ، مفقود غالباً ، وان هناك اساليب معتمدة تعاكس الروح الخلقية وتقاليد الشعوب المتمدنة .

« فلا مندوحة لنا اذاً من ان نرفع الصوت عالياً لحماية الكرامة الانسانية والمدنية المسيحية وشجب طرق الارهاب والعنف وحرب العصابات وحجز الرهائن والانتقامات من شعوب عزلاء . فهذه الجرائم كلها تؤخر تطوير معنى

العدالة والانسانية وتوغر صدور المتحاربين غيظاً وتستطيع ان تسدّ الطريق أمام النيات الخيّرة المتبادلة وتجعل المفاوضات صعبة بين الدول ، تلك المفاوضات التي اذا ما تمت بروح صادق مستقيم قادت الى تفاهم ايجابي .

« ومن الجلي الواضح لديكم : ايها الأخوة الاجلاء ، ان هذه المشاغل تقلقنا في الصميم : لا لمآرب خاصة ، بل لان مسعانا الوحيد هو حماية من تحل بهم هذه الضربات والعمل على الازدهار الحقيقي لجميع الشعوب » .

...

وعلى هذا الأمل وفي هذا الجو من الاستقامة الباطنية نستطيع ان ندعو الله اب الجميع فلا يعود بمقدور انسان ان يناجي الله اباه ثم يدعُ الانسان اخاه ويعامله هكذا .

هذا ما يعلمه آباء الكنيسة على ممرّ الاجيال وهذا ما اراد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ان يعيده الى الاذهان بسلطته الروحية المطلقة والمستمدّة من مؤسس الكنيسة الالهي السيد المسيح الكلمة المتجسد .